إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق

موسوعة
القيم ومكارم الأخلاق
العربية والإسلامية

(٣٢)

الشكر

الباحث الرئيسي ورئيس الفريق العلمي

أ.د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك

www.mtenback.com

دار رواح للنشر والتوزيع

ح مرزوق بن صنيتان بن تنباك ، ١٤٢١ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية/مرزوق بن صنيتان بن تنباك ... [أخ]. الرياض.

٥٢ ج ؛ ١٧×٢٤ سم

ردمك : ٤-١٨٥-٣٨-٩٩٦٠ (مجموعة)

٦-٢١٧-٣٨-٩٩٦٠ (ج ٣٢)

١- الأدب العربي – موسوعات أ- ابن تنباك ، مرزوق بن صنيتان (م . مشارك)

ديوي ٨١٠,٣ ٢١/٢٠٧٨

رقم الإيداع : ٢١/٢٠٧٨

ردمك : ٤-١٨٥-٣٨-٩٩٦٠ (مجموعة)

٦-٢١٧-٣٨-٩٩٦٠ (ج ٣٢)

موقع الشيخ مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس المحتويات

الموضـــوع	الصفحة
توطئة	٥
الشكر لغةً	٩
الشكر اصطلاحًا	٩
الشكر والشاكرون	١٣
مراتب الشكر	١٥
أنواع الشكر	٢٣
الشكر على الضراء	٢٦
شكر الإنسان للإنسان	٣٥
شكر أصحاب الفضل	٤٤
الشكر في التراث الأدبي	٥٠
الفهارس	٦٩

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فَإِذَا رُزِقَتْ خَلِيقَةً مَحْمُودَةً فَقَدِ اصْطَفَاكَ مُقَسِّمُ الأَرْزَاقِ

فَالنَّاسُ هَذَا حَظُّهُ مَالٌ وَذَا عِلْمٌ وَذَاكَ مَكَارِمُ الأَخْلَاقِ

حَافِظ إِبْرَاهِيم

www.mtenback.com

توطئة:

من أفضل مكارم الأخلاق القول الحسن، سواء كان مع الأصدقاء أو مع الأعداء، فهو مع الأصدقاء يحفظ مودتهم، ويستديم صداقتهم، ويمنع كيد الشيطان أن يوهي حبالهم ويفسد ذات بينهم: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾[1]. إن الشيطان متربص بالبشر، يريد أن يوقع بينهم العداوة والبغضاء، وأن يجعل من النزاع التافه، عراكًا داميًا، ولن يسد الطريق أمامه كالقول الجميل. وأما حسن الكلام مع الأعداء فهو يطفئ خصومتهم، ويكسر حدتهم، أو هو على الأقل يوقف تطور الشر واستطارة شرره[2].

والقول الحسن لون من البر، ولا ينبغي أن يكون فيه إسراف؛ لأنه إن تجاوز الحد كان مَلَقًا ممقوتًا.

جاء في الحديث: «إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فليسعهم منكم بسط الوجوه وحسن الخُلُق» وأُنْشد عند النبي ﷺ قول الشاعر:

وَحَيٍّ ذَوِي الأَضْغَانِ تَسْبِ قُلُوبَهُمْ ... تَحِيَّتَكَ الحُسْنَى فَقَدْ يُرْقَعُ النَّعَلْ

فَإِنْ دَحَسوا بِالمَكْرِ فَاعْفُ تَكَرُّمًا ... وَإِنْ حَبَسُوا عَنْكَ الحَدِيثَ فَلا تَسَلْ

فَإِنَّ الَّذِي يُؤْذِيكَ مِنْهُ سَمَاعُهُ ... وَإِنَّ الَّذِي قَالُوا وَرَاءَكَ لَمْ يُقَلْ

فقال: «إن من الشعر لحكمة، وإن من البيان لسحرًا»[3].

فقد استدعى حسن الأدب - حتى مع الخصوم - أن يظهر المرء بمظهر المتسامح العافي الذي يعرف ما يمكن أن يعيش به الناس، بعضهم مع بعض بغض النظر عن

---

(1) سورة الإسراء: الآية ٥٣.

(2) محمد الغزالي: خلق المسلم، ص٨٤.

(3) انظر: الترمذي، محمد بن عيسى: سنن الترمذي، دار الدعوة، الإسكندرية، ط٣، ١٤١١هـ/١٩٩٠م، كتاب الأدب، الباب ٦٩، ج٥، ص١٣٧.

www.mtenback.com

رأيهم. فإذا لم يؤذ السمعَ قولُهم فكأنهم لم يقولوا شيئًا وقد كان لوقع هذه الأبيات وما فيها من الحكمة في التعامل الذي أظهره الشاعر ماجعل الإعجاب بها يتناول الدلالة المعنوية التي يخلفها القول الجميل والذوق الراقي في الشعر وما فيه من حكمة وبلاغة. ومثل الأبيات السابقة قول الشاعر في أسلوب المعاملة وما يجنيه الإنسان من فضل في لين الجانب وإن لم يخسر مالاً فحسبه اللين والسماحة في القول والعمل، قال الشاعر[٤]:

أَبَنِيَّ إِنَّ البِشْرَ شَيءٌ هَيِّنٌ وجَهٌ طَلِيقٌ أوكَلامٌ لَيِّنُ

والقرآن الكريم يبين هذا المعنى وأهميته، ويحض على القول الحسن، فيقول: ﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[٥].

فالقول اللين والعمل الطيب يحول الإنسان من حال إلى حال، ويغير رأيه وقد يبدله من خصم مناكر إلى صديق شاكر. وأصدق من ذلك كله قوله تعالى على لسان إبليس وكيده حين جعل أشد ذلك ألا يشكر الإنسان ولا يعترف بالفضل لأهله فقال تعالى: ﴿فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ. ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾[٦].

والشكر يجب أن يكون لمن أسدى الفضل، وقدم المعروف. فقد روي أن رجلاً أتى سعيد بن جبير وقال له: «المجوسي يوليني خيراً فأشكره، ويُسَلّم علي فأرد عليه؛

---

[٤] الماوردي: أدب الدنيا والدين، تحقيق: طه عبدالرءوف سعد، المنصورة، القاهرة، مكتبة الإيمان، (د.ت)، ص٢٠٧.

[٥] سورة فصلت: الآية ٣٤.

[٦] سورة الأعراف: الآيتان ١٦، ١٧.

www.mtenback.com

فقال سعيد: سألت ابن عباس عن نحو هذا، فقال لي: لو قال لي فرعون خيرًا لـــرددت عليه مثله»[٧].

ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة تبين منزلة الشكر. فقد حدث عنه محمد بن مسلمة الأنصاري قال: جمعني وابن أبي حَدْرَد الأسلمي الطريقُ، فتذاكرنـــا الشـــكر والمعروف، قال: فقال محمد: كنا يومًا عند النبي ﷺ فقال لحسان بن ثابت: أنشـــدني قصيدة من شعر الجاهلية، فإن الله قد وضع عنا آثامها في شعرها وروايتـــه، فأنشـــده قصيدة للأعشى هجا بها عَلْقمة بن عُلاَّثَةَ من قوله[٨]:

عَلْقَـــمُ مَـــا أَنْـــتَ إِلَـــى عَـــامِرٍ النَّـــاقِضِ الأَوْتَـــارَ وَالواتِـــرِ

فقال النبي: يا حسان لا تعُد تنشدني هذه القصيدة بعد مجلسك هذا. فقال: يـــا رسول الله، تنهاني عن رجل مشرك مقيم عند قيصر؟ فقال له: يا حسان، أشكَرُ الناس أشْكَرُهم لله، وإن قيصر سأل أبا سفيان بن حرب عني فتناول مني: وفي خـــبر آخـــر: فشعَّث مني: وإنه سأل هذا عني فأحسن القول.

فقد كان واجب الكرم أن يحفظ المرء لمن أحسن إليه حقـــه ويرعـــى ذمامـــه، ويشكره على فعله وقد كان في قول النبي الكريم صورة حية لخُلقه وشكره لمن أحســـن إليه ولو كان بعيدًا أو مخالفًا. ولقد كان حسان سريع الاستجابة عندما علـــم رغبـــة رسول الله فقال في الحال: «يا رسول الله، من نالتك يده وجب علينا شكره»[٩].

وقد حفظ العرب لمن أنعم عليهم بقول أو معاملة أو ذب عن أعراضهم في غيبتهم، فشكروه عليه على قدر طاقتهم.

---

[٧] ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم: عيون الأخبار، تحقيق: د. علي يوسف طويـــل، بـــيروت، دار الكتب العلمية، (د.ت)، م٢، ج٣، ص١٨٥.

[٨] الأعشى، ميمون بن قيس: ديوان الأعشى، بيروت، دار صادر، (١٤١٤هـــ/١٩٩٤م)، ص٩٣.

[٩] الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبدالرحمن بن محمد: دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شـــاكر، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط٣، (١٤١٣هـــ/١٩٩٢م)، ص ١٩.

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

الشكر لغة:

هو عرفان الإحسان ونشره والجزاء عليه ممن يستطيع الجزاء والإذعان بالمعروف لمن عجز عن الشكر. وقد أنشد أبو علي قول الشاعر:

وَإِنِّي لَأَتيكُمْ تَشَكُّرَ مَا مَضَى مِنَ الأَمْرِ وَاسْتِيجابَ ما كانَ فِي الغَدِ

أي لتشكُّر ما مضى، وأراد ما يكون؛ فوضع الماضي موضع الآتي. ورجل شَكور: كثير الشُّكْر.. والشَّكور: معناه من يزكو عنده القليل من المعروف والعمل، فيضاعف الجزاء، ويجتهد في شكر المنعم. والشكر مقابلة النعمة بالقول والفعل فيثني على المنعم، ومنه شكَرَتِ الإبلُ تَشْكُر إذا أصابت مرعىً فَسَمِنَتْ عليه... والشَّكُور من الدواب: ما يكفيه العلف القليل. وقيل: «الشَّكور من الدواب الذي يسمَن على قلة العلف، كأنه يشكر وإن كان ذلك الإحسانُ قليلاً، وشكره ظهور نمائه وظهور الإحسان فيه»[10].

الشكر اصطلاحًا:

وإذا نظرنا إلى تعريف الشكر عند من عرفه اصطلاحًا، وجدنا أنه النشر والنماء والزيادة في مقابل الإحسان.

عرفه الغزالي بقوله[11]: «اعلم أن الشكر من جملة مقامات السالكين، وهو أيضًا ينتظم من علم ومال وعمل، فالعلم هو الأصل؛ فيورث الحال والحال يورث العمل، فأما العلم فهو معرفة النعمة من المنعم، والحال هو الفرح الحاصل بإنعامه، والعمل هو القيام بما هو مقصود المنعم ومحبوبه، ويتعلق ذلك العلم بالقلب وبالجوارح وباللسان...

---

[10] انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، تحقيق عبد الله الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، القاهرة، دار المعارف، (د.ت)، ط٣، ص٢٣٠٥.

[11] الغزالي، الإمام أبو حامد محمد بن محمد: إحياء علوم الدين، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، (١٣٥٨هـ/١٩٣٩م)، ج٤، ص٧٩-٨٢.

www.mtenback.com

فالأصل الأول: العلم وهو علم بثلاثة أمور بعين النعمة ووجه كونها نعمة في حقه، وبذات المنعم وبوجود صفاته التي يتم بها الإنعام... هذا في حق غير الله. أما في حق الله فلا يتم إلا بأن يعرف أن النعم كلها من الله، وهو المنعم، والوسائط مسخرون من جهة، وهذه المعرفة وراء التوحيد والتقديس... واعلم أن تمام هذه المعرفة ينفي الشرك في الأفعال؛ فمن أنعم عليه ملك من الملوك بشيء فإن رأى لوزيره أو وكيله دخلاً في تيسير ذلك وإيصاله إليه فهو إشراك به في النعمة، فلا يرى النعمة من الملك من كل وجه، بل منه بوجه ومن غير وجه، فيتوزع فرحه عليهما فلا يكون موحداً في حق الملك، نعم لا يغض من توحيده في حق الملك وكمال شكره أن يرى النعمة الواصلة إليه بتوقيعه الذي كتبه بقلمه وبالكاغد الذي كتبه عليه، فإنه لا يفرح بالقلم والكاغد ولا يشكرهما؛ لأنه لا يثبت لهما دخلاً من حيث هما موجودان بأنفسهما، بل من حيث هما مسخران تحت قدرة الملك... فإن عرفت الأمور كذلك فقد عرفت الله، وعرفت فعله، وكنت موحداً، وقدرت على شكره، بل كنت بهذه المعرفة، بمجردها شاكراً...

الأصل الثاني، الشكر: الحال المستمدة من أصل المعرفة، وهو الفرح بالمنعم، مع هيئة الخضوع والتواضع، وهو أيضًا في نفسه شكر على تجرده، كما أن المعرفة شكر، ولكن إنما يكون شكرًا إذا كان حاويًا شرطه، وشرطه أن يكون فرحك بالمنعم لا بالنعمة ولا بالإنعام... والشكر التام... هو أن يكون فرح العبد بنعمة الله من حيث إنه يقدر بها على التوصل إلى القرب منه والنزول في جواره والنظر إلى وجهه على الدوام، فهذا هو الرتبة العليا. وأمارته ألا يفرح من الدنيا بما هو مزرعة للآخرة ويعينه عليها، ويحزن بكل نعمة تلهيه عن ذكر الله وتصده عن سبيله... ولذلك قال الشبلي: الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعمة، وقال الخواص: شكر العامة على المطعم والملبس والمشرب، وشكر الخاصة على واردات القلوب...

www.mtenback.com

الأصل الثالث، للشكر: العمل بموجب الفرح الحاصل من معرفة المنعم، وهذا العمل يتعلق بالقلب وباللسان وبالجوارح، أما بالقلب فقصد الخير وإضماره لجميع الخلق، وأما باللسان فإظهار الشكر لله بالتحميدات الدالة عليه، وأما بالجوارح، فاستعمال نعم الله في طاعته والتوقي من الاستعانة بها على معصيته، حتى إن من شكر العينين أن تستر كل عيب تراه لمسلم وشكر الأذنين أن تستر كل عيب تسمعه فيه... هذه هي أصول معاني الشكر المحيطة بمجموع حقيقته، فأما قول من قال إن الشكر هو الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع فهو نظر إلى فعل اللسان مع بعض أحوال القلب، وقول من قال إن الشكر هو الثناء على المحسن بذكر إحسانه نظر إلى مجرد عمل اللسان، وقول القائل إن الشكر هو الاعتكاف على بساط الشهود بإدامة حفظ الحرمة جامع لأكثر معاني الشكر، لا يشذ منه إلا عمل اللسان، وقول حمدون القصار: «شكر النعمة أن ترى نفسك في الشكر طفيليًا إشارة إلى أن معنى المعرفة من معاني الشكر فقط».

والأصل في اللغات أن يوضع اللفظ الواحد لمعنىً واحد، ولكنّ أحوالاً قد تؤدي إلى تعدد الألفاظ لمعنىً واحد، وهو ما يعرف بظاهرة الترادف، وهو قليل الوقوع، لأن ظروفًا أخرى تنشأ في كل لغة وتصنع فروقًا بين الألفاظ المترادفة، وقد اختلف اللغويون العرب اختلافًا كبيرًا حول وقوع الترادف في اللغة العربية فمنهم من قال بوقوعه ومنهم من أنكر ذلك، وقرر أن هناك فروقًا بين الألفاظ، وأنه يستحيل أن يكون هناك لفظان لمعنى واحد، ودلل من ذهب إلى هذا بقوله: إن الفرق بين المدح والثناء، أن الثناء مدح مكرر، من قولك: ثنيت الخيط، إذا جعلته طاقتين وثنّيته بالتشديد إذا أضفت إليه خيطًا آخر[١٢].

[١٢] انظر في قضية الترادف: د. رمضان عبدالتواب: فصول في فقه العربية، ص٣٠٨-٣٢٤.

www.mtenback.com

ويرى ابن منظور في - لسان العرب - أن الحمد أعم من الشكر؛ لأن الشكر لا يكون إلا عن يد، والحمد يكون عن يد وعن غير يد، ولأننا نحمد الإنسان على صفاته الجميلة وعلى معروفه، ولا نشكره إلا على معروفه دون صفاته، وقد قال أبو نخيلة الراجز في مسلمة بن عبدالملك[١٣]:

أَمَسْلَمَ إِنِّي يا ابْنَ كُلِّ خَلِيفَةٍ ... وَيا جَبَلَ الدُّنْيا وَيا وَاحِدَ الأَرْضِ

شَكَرْتُكَ إِنَّ الشُّكْرَ حَبْلٌ مِنَ التُّقَى ... وَما كُلُّ مَنْ أَوْلَيْتَهُ صالِحًا يَقْضِي

وَأَنْبَهْتَ لِي ذِكْرِي وَمَا كَانَ خَامِلاً ... وَلَكِنَّ بَعْضَ الذِّكْرِ أَنْبَهُ مِنْ بَعْضِ

ويرى المرزوقي - في شرح ديوان الحماسة - ما يراه ابن منظور، فيقول: «والحمد يجري مجرى الشكر، إلا أنه يُسْتعمل في مُسْدي الإحسان، وفي من رُضيت أفعاله، وإن لم يكن منه إحسان، فيقال: حمدت فلانًا على اصطناعه لي، وحمدته على براعته وفضله؛ والشكر لا يُسْتعمل إلا فيمن يكون منه إسداء معروف وأخذ بإحسان»[١٤].

ونحن نرى أن الحمد والمدح متماثلان، ومعناهما الثناء على الجميل. أما بالنسبة للحمد والشكر فلعل الشكر أعم من الحمد؛ لأن الشكر يكون باللسان وبالقلب

---

[١٣] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص ٤٨٤؛ ابن قتيبة: عيون الأخبار، مج٢، ج٣، ص١٨٥ مع اختلاف في الألفاظ.

[١٤] المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد: شرح ديوان الحماسة، نشره: أحمد أمين وعبدالسلام هارون، بيروت، دار الجيل، (١٤١١هـ/١٩٩١م)، مج١، ص ٧٨٤. وللقرطبي في تفسيره رأي يوافق رأي ابن منظور: تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، القاهرة، دار الغد العربي، ط٢، مج١، (١٩٩٦م)، ص١٨٠/١٨٢، وانظر: د. محمد الأحمدي أبو النور وآخرون: من هدي القرآن، القاهرة، (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م)، ص٣١-٣٢.

www.mtenback.com

وبالجوارح، أما الحمد فيكون باللسان وحده، وفي هذا يقول الرسول ﷺ «الحمد رأس الشكر، فمن لم يحمد الله لم يشكره».

ولابن القيم تفريق دقيق بين الحمد والشكر، يقول: «والفرق بينهما أن الشكر أعم من جهة أنواعه وأسبابه، وأخص من جهة متعلقاته، والحمد أعم من جهة المتعلقات وأخص من جهة الأسباب، ومعنى هذا أن الشكر يكون بالقلب خضوعًا واستكانة، وباللسان ثناءً واعترافًا، وبالجوارح طاعة وانقيادًا، ومتعلقه النعم، دون الأوصاف الذاتية، فلا يقال: شكرنا الله على حياته وسمعه وبصره وعلمه، وهو المحمود عليها، كما هو محمود على إحسانه، وعدله، والشكر يكون على الإحسان والنعم، فكل ما يتعلق به الشكر يتعلق به الحمد من غير عكس، وكل ما يقع به الحمد يقع به الشكر من غير عكس؛ فإن الشكر يقع بالجوارح والجسد، والحمد يقع بالقلب واللسان»[١٥].

الشكر والشاكرون:

الشكر نصف الإيمان، وقد ورد أن الإيمان نصفان: نصف شكر، ونصف صبر وقد ذكرنا أن الشكر واجب لصاحب المعروف، وأن الله سبحانه أمر به وأثنى على أهله، ونهى عن الكفر، وقد وعد الله أهل الشكر بأحسن الجزاء، بل إنه عز وجل اشتق للشاكرين اسمًا من أسمائه الحسنى، فهو «الشكور».

وقد وصف أنبياءه بأنهم شاكرون، فقال عن الخليل إبراهيم: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ﴾[١٦]، وقال عن نوح: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾[١٧]، بل إنه عز وجل قال عن نفسه: ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾[١٨]،

---

[١٥] ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله: تهذيب مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ص٢٨٥.

[١٦] سورة النحل: الآيتان ١٢٠-١٢١.

[١٧] سورة الإسراء: الآية ٣.

[١٨] سورة البقرة: الآية ١٥٨.

www.mtenback.com

وقال: ﴿وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾[١٩]، والشكر من الله - كما سبق أن أشرنا - المجازاة والثناء الجميل.

ورد لفظ الشكر ومشتقاته في القرآن الكريم في تسعة وسبعين موضعا، كانت الغلبة فيها للفعل المضارع[٢٠].

فقد ورد الفعل المضارع بصوره الإسنادية المختلفة في خمسة وثلاثين موضعًا، في حين ورد الفعل الماضي في أربعة مواضع فقط، وجاء فعل الأمر في سبعة مواضع، وإن الأمر كالمضارع، والفعل المضارع يفيد التجدد والاستمرار، ومعنى هذا أن الشكر يجب أن يكون عملاً متجددًا في حياة الإنسان. أما الكفر فيجب أن ينقطع.

ولنضرب على ذلك مثالاً من القرآن الكريم فنقول: إنه في إطار صيغة الشرط جمع بين الماضي والمضارع في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[٢١]. فجاء فعل الشرط في أول الآية مضارعًا؛ لأن الشكر يتجدد ويكثر، أما في آخر الآية فقد جاء ماضيًا؛ لأن الكفر عكس ذلك؛ إذ إن الكفر يحصل ابتداءً ويبقى عليه إلا إذا شاء الله أن يقلع العبد عنه، أما الشكر فعمل يومي متجدد في حياة الإنسان، على عكس الكفر؛ ومن ثم أتى الفعل مضارعًا في كل حدث يومي، معتاد في حياة الإنسان، مثل ينام ويأكل ويشرب. قال الرازي في تفسيره هذه الآية: «قال في الشكر: ومن يشكر بصيغة المستقبل، وفي الكفران: ومن كفر، وإن كان الشرط يجعل الماضي والمستقبل في معنى واحد»[٢٢].

---

[١٩] سورة النساء: الآية ١٤٧.

[٢٠] محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. القاهرة، دار الحديث، (١٤١٧هـ/١٩٩٦م)، ص٤٧٤-٤٧٥.

[٢١] سورة لقمان: الآية ١٢.

[٢٢] فخر الدين الرازي، محمد بن عمر: التفسير الكبير، القاهرة، المطبعة البهية، (د.ت)، ج٢٥، ص١٤٥.

www.mtenback.com

وإذا نظرنا في النعم التي تستوجب الشكر وجدناها كثيرة ومتنوعة، ويمكن أن نقسمها إلى نعم مادية ونِعم روحية، أما المادية فمنها نعمة الطعام الذي لا يعيش الإنسان بدونه، ونعمة الماء الضروري لكل حي، ونعمة الليل والنهار، والاحتياج إليهما معًا، ونعمة تسخير البحر وما فيه من نعم، وغيرها من النعم المتعددة.

أما النعم الروحية فلا تعد ولا تحصى كذلك، ومنها نعمة التعلم التي اختص الله بها الإنسان وجعلها من مميزاته، ونعمة الهداية والرحمة السابغة، وتتمثل في التشريعات التي تصلح بها حياة الناس، وفي التيسير عليهم ودفع الحرج عنهم، ونعمة العون الإلهي وتمكين المؤمنين من النصر حتى مع قلتهم بالنسبة لأعدائهم في العدة وفي العدد، وغير ذلك كثير [٢٣]. ورد لفظ الشكر في مواضع كثيرة في الحديث النبوي الشريف؛ لأن الشكر من مكارم الأخلاق، وكان النبي ﷺ يوصي المسلمين بشكر بعضهم بعضًا، وبشكر صاحب المعروف، وإن كان غير مسلم، وكان النبي المثل الأعلى في ذلك، مع مراعاة ألا يكون في الشكر حط من الكرامة أو مخالفة للدين؛ لأن المعطي هو الله والمانع هو الله، وإنما الناس وسائل أجرى الله على أيديهم النعم.

مراتب الشكر:

يمكن من تعريفات الشكر الاصطلاحية، - وعلى رأسها ما ذكره الغزالي - أن نقول: إن مراتب الشكر ثلاث: شكر بالقلب، وشكر باللسان، وشكر بالجوارح، أو كما يقول ابن القيم: إن الشكر مبني على ثلاثة أركان: الاعتراف بها باطنًا، والتحدث بها ظاهرًا، وتصريفها في مرضاة وليّها ومُسْديها ومُعْطيها. فإذا فعل ذلك فقد شكرها[٢٤].

---

[٢٣] د. أحمد إبراهيم مهنا: مقومات الإنسانية في القرآن الكريم، القاهرة، سلسلة البحوث الإسلامية، (١٣٩٠هـ/١٩٧٠م).

[٢٤] ابن قيم الجوزية: الوابل الصيب من الكلم الطيب، تحقيق:عبدالعزيز عزالدين السيروان، بيروت، دار الرائد العربي، (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ص١٥.

www.mtenback.com

وشكر القلب أن يعلم الإنسان أن النعمة من الله وحده، ولا نعمة على الخلق من أهل السماوات والأرض إلا وبدايتها من الله، حتى يكون الشكر لله عن نفسك وعن غيرك بمعرفة نعم الله عليك وعلى غيرك، وهذا النوع هو الذي يقال فيه يجب على العبد أن يشكر الله على نعمة أسْديت إلى غيره.

والدليل على أن الشكر محله القلب - وهو المعرفة قوله - تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾[٢٥]، أي أن أيقنوا أنها من الله، وإلى هذه الكلمة انتهى جميع ما قاله الخلق في الشكر، ودليل آخر قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٢٦]، أي اتقوني فإنه شكر نعمتي. ويقال إن في هذا اللون من الشكر اعترافا بنعم الله على وجه الخضوع. وقد قيل إن الشكر معرفة العجز عن الشكر. وروي أن داود عليه السلام قال: إلهي، ابن آدم ليس منه شعرة إلا وتحتها نعمة، وفوقها منك نعمة، فمن أين يكافئها؟ فأوحى الله تعالى إليه: يا داود، إني أعطي الكثير وأرضى باليسير، وإن شكر ذلك أن تعلم أن ما بك من نعمة فمني[٢٧].

وأما شكر اللسان فهو الثناء على المحسن بذكر إحسانه. ورد في الحديث عن النعمان بن بشير قال، قال رسول الله ﷺ: «التحدث بالنعم شكر، وتركها كفر، ومن لا يشكر القليل لا يشكر الكثير، ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله عز وجل، والجماعة بركة، والفرقة عذاب»[٢٨].

---

[٢٥] سورة النحل: الآية ٥٣.

[٢٦] سورة آل عمران: الآية ١٢٣.

[٢٧] الطرطوشي، محمد بن الوليد: سراج الملوك. القاهرة، المطبعة المحمودية التجارية، (١٣٥٤هـ/١٩٣٥م)، ص ١٩٤-١٩٥.

[٢٨] أبو عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا: كتاب الشكر، تحقيق:طارق الطنطاوي. القاهرة، مكتبة القرآن، (د.ت)، ص٣٩.

www.mtenback.com

وعلى هذا فإن الله سبحانه يوصف بأنه شكور حقيقة، فهو يشكر عبده إذا أحسن طاعته، ويغفر له إذا تاب عليه، وهو يعطي العبد ويوفقه لما يشكره عليه، ويشكر القليل من العمل والعطاء، ويشكر الحسنة بعشر أمثالها إلى أضعاف مضاعفة، ويشكر عبده بقوله بأن يثني عليه بين ملائكته وفي ملئه الأعلى، ويلقي له الشكر بين عباده ويشكره بفعله، فإذا ترك له شيئًا أعطاه أفضل منه، وإذا بذل له شيئًا رده عليه أضعافًا مضاعفة، وهو الذي وفقه للترك والبذل، وشكره على هذا وذاك... ولما كان سبحانه هو الشكور على الحقيقة كان أحب خلقه إليه من اتصف بصفة الشكر كما أن أبغض خلقه إليه من عطلها واتصف بضدها[٢٩].

وشكر الجوارح يكون بالطاعات أو بالعمل. كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [٣٠]، أي من فاته أن يعمل في أحدهما عمل في الآخر، وقال سبحانه: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[٣١]، ولما قيل للرسول ﷺ عندما قام حتى انتفخت قدماه: أتفعل هذا، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبدًا شكورًا؟ وهذا يدل على نفسٍ متعفّفة عاقلة، تنسب الفضل لصاحبه، ولا يغيب عنها استشعار جوده وكرمه، وقد عرضت عليه مفاتيح كنوز الدنيا فلم يأخذها، وقال: «بل أجوع يومًا وأشبع يومًا، فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك، وإذا شبعت حمدتك وشكرتك».

---

[٢٩] ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، المنصورة، القاهرة، مكتبة الإيمان، (د.ت)، ص٢٨٦-٢٨٧.

[٣٠] سورة الفرقان: الآية ٦٢.

[٣١] سورة سبأ: الآية ١٣.

www.mtenback.com

لاشك أن هذا السلوك الزاهد يحفظ النفس البشرية على عهد الشكر، وذكر المنعم.

قال أبو هارون: دخلت على أبي حازم، فقلت له: رحمك الله ماشكر العينين؟ قال: إن رأيت بهما خيراً أذعته، وإن رأيت بهما شراً سترته، قلت له: فما شكر الأذنين؟ قال: إن سمعت بهما خيراً وعيته، وإن سمعت بهما شراً أخفيته، قلت: فما شكر اليدين قال: ألا تأخذ بهما ما ليس لك، ولا تمنع حق الله فيهما، قلت: فما شكر البطن؟ قال: أن يكون أسفله طعاماً وأعلاه علماً، قلت: فما شكر الفرج؟ قال: كما قال الله : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ. إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ. فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾[٣٢].

قلت: فما شكر الرجلين؟ قال: إذا رأيت حيًا غبطته استعملت بهما عمله، وإن رأيت ميتًا مقته كففتهما عن عمله، وأنت شاكر لله عز وجل[٣٣].

فأما من شكر بلسانه و لم يشكر بجميع أعضائه، فمثله - كما قال أبو حازم - كمثل رجل له كساء فأخذ بطرفه ولم يلبسه، فما ينفعه ذلك من الحر والبرد والثلج والمطر.

والشكر قسمان من جهة النظر إلى أثره: شكر محمود، وآخر مذموم. فأما المحمود فقد سبق القول فيه من كلام الغزالي. وأما المذموم، فهو شكر لم يصادف محله، مثل شكر العصاة على عصيانهم، وأهل السوء على سوئهم، سواء كان بالقلب أو باللسان. ويدخل في نطاق الشكر المذموم، الرياء والنفاق والمبالغة في مدح النفس، أو

---

[٣٢] سورة المؤمنون: الآيات ٥-٧.

[٣٣] الطرطوشي: سراج الملوك، ص ١٩٦ - ١٩٨؛ ابن القيم: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ص١٤٣؛ وقد نقلا في الكتابين عن ابن أبي الدنيا: كتاب الشكر، ص٦٢-٦٣.

www.mtenback.com

مدح السامع، لأن في مدح الإنسان بما ليس فيه، ما يطغيه، ويبعده عن التخلق بالأخلاق الحميدة، ويشيع في المجتمع النفاق الاجتماعي، ويغرر بالذين ينخدعون بأساليب المدح الكاذب والتملق المذموم. وفي مثل هذا الشكر المذموم. ورد قوله ﷺ: «إذا رأيتم المادحين فاحثوا في وجوههم التراب»[٣٤].

والمدح المقصود في الحديث هو المدح الباطل، أما إن كان صادقًا فلا ضير منه إذا كان في حق من لا يخاف عليه فتنة بإعجاب ونحوه، ولنا في رسول الله أسوة حسنة، فقد مَدَحَ ﷺ أناسًا في مواضع كثيرة بمحضرهم، فقال لأبي بكر الصديق: وأرجو أن تكون منهم، أي من الذين يدعون من أبواب الجنة، وقال: لو كنت متخذًا من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، وقال للمنذر بن عائذ: إن فيك خَصْلتين يحبهما الله: الحِلْم والأناة، وقال: اثبت أُحُد؛ فإنما عليك نبي وصدّيق وشهيدان، وقال لعمر: ما لقيك الشيطان سالكًا فَجًّا إلا سلك فجًّا غير فجك، وقال لعلي رضي الله عنه: أنت مني وأنا منك، وكذلك: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ وقال لبلال: سمعت دق نعليك في الجنة، وقال لعبد الله بن سلام: أنت على الإسلام حتى تموت، وقال للأنصار: أنتم من أحب الناس إليّ، ونحو هذا كثير من مدحه ﷺ في الوجه، وأما مدح الصحابة والتابعين والعلماء والأئمة الذين يُقْتَدَى بهم فأكثر من أن يُحْصى[٣٥].

وعلاوة على ذلك لا ضرر أن يمدح المرء نفسه إذا كان يريد البيان، لا الفخر والتطاول، غير أن هذا الأمر لا يستطيعه كثير من الناس، وإنما يكون من الأنبياء

---

[٣٤] كاملة الأنوار حجاب: الشكر في القرآن، القاهرة، دار الآفاق العربية، (١٤١٧هـ/١٩٩٧م)، ص٢٨-٣٢. وقد ورد الحديث في صحيح مسلم بشرح النووي، مج٩، ج١٨، القاهرة، دار الريان للتراث، (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ص١٢٦.

[٣٥] مسلم، الإمام أبو الحسين بن الحجاج القشيري: صحيح مسلم، بشرح: النووي، مج١، ج١، ص١٨٩-١٩٦، وانظر: كتاب الفضائل من صحيح مسلم، مج ٨، ج١٥، ص٣٦-٢١١.

www.mtenback.com

والعلماء، لأنهم أبعد الخلق عن الغرور والصلف. وقد رُوي عن الرسول ﷺ أنه قال: أنا سيد ولد آدم ولا فخر. وروى سفيان الثوري عن النبي قوله: «إن الله خلق الخلق فجعلني في خير خلقه، وجعلهم أفراقًا فجعلني في خير فرقة، وجعلهم قبائل فجعلني في خير قبيلة، وجعلهم بيوتًا فجعلني في خير بيت، فأنا خيركم بيتًا وخيركم نسبًا».

وهو لم يرد الفخر بهذا، وإنما قال هذا لسببين: الأول أنه امتثال لقول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[٣٦]، وهذا من شكر النعمة، والثاني أنه من البيان الذي يجب عليه تبليغه إلى أمته ليعرفوه ويعتقدوه ويعملوا به.

وقد قال الله – حكاية – عن يوسف عليه السلام: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [٣٧].

وكان إسماعيل بن أبي خالد يمشي مع الشَّعْبي وأبي سلَمة، فسأل الشعبيُّ أبا سلمة: من أعلم أهل المدينة؟ فقال: الذي يمشي بينكما، يعني نفسه. وقال الشَّعبي: ما رأيت مثلي، وما أشاء أن ألقى رجلاً أعلم مني بشيء إلا لقيته[٣٨].

وليس من ضَيْر في هذا الأمر إذا كان الإنسان عارفًا قدر نفسه، بعيدًا عن الغرور، بل إنه أمر لازم، يجعل الإنسان بأمن من الغرور ومن الانخداع بمَلَق الآخرين، وكان يقال: لا يغْلبن جهل غيرك بك علمَك بنفسك. وكان أبوبكر الصدّيق رضي الله عنه يقول عند المِدْحة: اللهم أنت أعلم بي مني بنفسي، وأنا أعلم بنفسي منهم، اللهم اجعلني خيرًا مما يحسبون، واغفر لي ما لا يعلمون، ولاتؤاخذني بما يقولون.

---

[٣٦] سورة الضحى: ١١.

[٣٧] سورة يوسف: الآية ٥٥.

[٣٨] ابن قتيبة: عيون الأخبار، مج ١، ج ١، ص٣٨٨.

www.mtenback.com

ولكن كثيراً من الناس تغرهم أنفسهم، وتخدعهم عن الحق، فيستميلهم المدح، حتى وإن كان كاذبًا.

وربما آل حب المدح بصاحبه - كما يقول الماوردي - إلى أن يصير مادح نفسه، إما لتوهمه أن الناس قد غفلوا عن فضله، وأخلوا بحقه، وإما ليخدعهم بتدليس نفسه بالمدح والإطراء، فيعتقدون أن قوله حق متبع، وصدق مستمع، وإما لتلذذه بسماع الثناء وسرور نفسه بالمدح والإطراء، كما يتغنى بنفسه طربًا إذا لم يسمع صوتًا مطربًا ولا غناء ممتعًا. ولأي ذلك كان فهو الجهل الصريح، والنقص الفاضح. وقد قال بعض الشعراء[٣٩]:

وَمَا شَرَفٌ أَنْ يَمْدَحَ المَرْءُ نَفْسَهُ ... وَلَكِنَّ أَعْمَالاً تُذَمُّ وَتُمْدَحُ

وَمَا كُلُّ حِينٍ يَصْدُقُ المَرْءَ ظَنُّهُ ... وَلا كُلُّ أَصْحَابِ التِّجَارَةِ يَرْبَحُ

وَلا كُلُّ مَنْ تَرْجو لِغَيْبِكَ حَافِظًا ... وَلا كُلُّ مَنْ ضَمَّ الوَدِيعَةَ يَصْلُحُ

وإذا رحنا ننظر في هذه الأبيات الثلاثة وجدنا أن بنية النفي فيها تؤول إلى الإثبات؛ لأن أداة النفي تجعل التركيب يستدعي مقابلة المثبت، فإن نفي الشرف في مدح الرجل نفسه في البيت الأول مثلاً يعني على الفور أن مدح الرجل نفسه عار أو ذم. ويلاحظ تدخل طرف إضافي مؤثر في حضور بنية الإثبات هو (لكن) التي تؤدي دورها في إلغاء طبيعة السلب تحولاً إلى الإثبات، فتنسب لما بعدها حكمًا مخالفًا لحكم ما قبلها، كما يقول أهل اللغة.

بل إن مدح الرجل نفسه أو غيره والتزيد فيه قد يورثه الكبر إن كان مادح نفسه، والنفاق إن كان مادح غيره، وكلا الأمرين قد يردان به مورد التهلكة. يروى أنه[٤٠] قيل للحجاج بن يوسف الثقفي: كيف وجدت منزلك بالعراق أيها الأمير؟

---

[٣٩] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص ٢٤٨.

[٤٠] ابن عبد ربه الأندلسي، أبو عمر أحمد بن محمد: العقد الفريد، ج٢، تحقيق: د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ج٢، ص١٩٨-١٩٩.

www.mtenback.com

قال: خير منزل، لو أدركت بها أربعة نفر لتقربت إلى الله بدمائهم. قيل له: ومن هم؟ قال: مقاتل بن مسمع، ولي سجستان فأتاه الناس فأعطاهم الأموال، فلما قدم البصرة بسط له الناس أرديتهم فمشى عليها، فقال: لمثل هذا فليعمل العاملون. وعُبيد الله بن ظبيان، خطب خطبة أوجز فيها، فناداه الناس من أعراض المسجد: أكثر الله فينا أمثالك، فقال: لقد كلفتم ربكم شططًا! ومعبد بن زُرارة، كان ذات يوم جالسًا على طريق فمرت به امرأة فقالت: يا عبد الله أين الطريق لمكان كذا؟ فقال: لمثلي يُقال يا عبد الله؟ ويلك! وأبو السماك الحنفي، أضل ناقته فالتمسها الناس فلم يجدوها، فقال: والله لئن لم يردّ إليّ راحلتي لا صليت له أبدًا، فالتمسها الناس فوجدوها، فقالوا له: قد رد الله راحلتك فصلِّ، فقال: إن يميني يمين مُعبّر ! فانظر إلى هؤلاء كيف أفضى بهم العجب إلى حمق صاروا به نكالاً في الأولين، ومثلاً في الآخرين.

وقال عمر بن حفص ناقل الحديث: ونسيَ الحجاج نفسه، وهو خامس هؤلاء الأربعة، بل هو أشدهم كِبْرًا، وأعظمهم إلحادًا، حين قال: إنَّ خليفة الرجل في أهله أكرم عليه من رسوله إليهم، وكذلك الخلفاء، يا أمير المؤمنين أعلى منزلة من المرسلين !

وخلاصة القول في هذا الموضوع إنه لا تثريب على المرء في مدح نفسه إذا كان يريد البيان لا الفخر، وإذا كان بمنأى عن الغرور والكبر، غير أن هذا الأمر لا يستطيعه كثير من الناس، أما النهي عن المدح في الوجه فهو محمول على المجازفة في المدح والتزيُّد فيه، أو على من يُخاف عليه الافتتان إذا سمع المدح، وأما من لا يخاف عليه ذلك لكمال إخلاصه ورسوخ عقله، فلا نهي عن مدحه في وجهه، إذا لم يكن في هذا المدح تزيُّد، بل إن المدح في الوجه يكون مستحبًا إذا حصلت به مصلحة، كأن ينشط الممدوح للخير أو يزيد منه، أو يداوم عليه إذا مُدح على ذلك.

وقد حفظ الإسلام للمرء كرامته، ونهى عن إراقة ماء الوجه، مهما يكن سبب ذلك؛ لأن المعطي هو الله، والمانع هو الله، ولا يجوز لامرئ أيا كان أن يستعبد امرأً

www.mtenback.com

آخر لهبة وهبها إياه، وليس معنى ذلك إنكار فضل من قدموا الفضل، بل معناه ألا تداس كرامة الإنسان. أما من أسدى لأخيه معروفًا بنيّة صافية خالصة فقد وجب شكره على معروفه.

أنواع الشكر:

يمكن تقسيم معاني الشكر - بحسب الشاكرين - إلى ثلاثة أنواع: شكر العوام، وهو شكر الصالحين، وشكر الخواص وهو شكر العلماء، وشكر خواص الخواص وهو شكر الأنبياء. وبحسب المشكورين يمكن قسمته إلى نوعين: شكر الإنسان لربه وشكر الإنسان للإنسان.

فأمّا شكر الإنسان لربه:

فإنّ الإنسان لا يستطيع أن يشكر الله؛ لأن الشكر نعمة منه تستحق أن نشكره عليها. وقد روي أن داود عليه السلام قال: يا رب، كيف أشكرك، وشكري لك نعمة عليّ من عندك تستوجب بها شكرًا؟.

يقول محمود الورّاق[٤١]:

إِذَا كَانَ شُكْرِي نِعْمَةَ اللهِ نِعْمَةً ... عَلَيَّ لَهُ فِي مِثْلِهَا يَجِبُ الشُّكْرُ

فَكَيْفَ أَدَاءُ الشُّكْرِ إِلاَّ بِعَوْنِهِ ... وَإِنْ دَنَتِ الأَيَّامُ وَاتَّصَلَ العُمُرُ

ولا يعني ذلك أن شكر الإنسان لله غير واجب، بل إنه لو لم يفعل ذلك كان مرتكبًا أشنع ألوان النكران والجحود، ونحن ننكر على الإنسان الذي لا يشكر من أحسن إليه من الناس، فما بالنا بمن لا يُسْدي الشكر لخالق الناس ومصدر كل النعم؟

---

[٤١] أبو العلاء المعري: شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، تحقيق: د. عبدالمجيد دياب، القاهرة، دار المعارف، ط٢، (١٤١٣هـ/١٩٩٢م)، ص٢٠٠، وقد أخذ المتنبي من ذينك البيتين معنى بيته القائل:

فَمَتَى أقومُ بشكرِ ما أوْلَيتَني ... والقولُ فيكَ عُلوّ قَدْرِ القائل؟

www.mtenback.com

وقد أمر الله الناس بأن يشكروه على نعمه التي أسبغها عليهم؛ حتى يحفظ عليهم هذه النعم، وبين في مواضع كثيرة من كتابه العزيز بعض هذه النعم، قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ. قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ. وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٤٢]، وقال عز وجل: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ. وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ. لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾[٤٣].

والشكر لا يعود على الله سبحانه بشيء، فهو لاينتفع بشكر الشاكرين، ولا يتضرر بكفر الكافرين، بل إن النفع والضرر يعودان على الإنسان وحده، دون سواه. فإن شكر فإنما يشكر لنفسه، وإن كفر فإن الله غني عن العالمين، يقول سبحانه تبيينًا لهذا الأمر: ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[٤٤].

وقد صدق ابن مسكويه حين قال: «ولا شيء أجلب للنعمة، ولا أشد تثبيتًا لها من الشكر، وحسبك ما وعد الله به الشاكرين مع استغنائه عن الشكر»[٤٥].

وأول ما يفكر فيه المرء هو شكر أصحاب الفضل عليه والاعتراف لهم بفضلهم، وليس كل من أسدى إلى الإنسان معروفًا أو صنع به جميلاً يستطيع مكافأته بمثل ما

---

[٤٢] سورة القصص: الآيات ٧١-٧٣.

[٤٣] سورة يس: الآيات ٣٣-٣٥.

[٤٤] سورة لقمان: الآية ١٢.

[٤٥] مسكويه، أبو علي، أحمد بن محمد: تهذيب الأخلاق، القاهرة، مطبعة مدرسة والدة عباس باشا، (١٣٢٣هـ/١٩٠٥م)، ص١٣٣.

www.mtenback.com

صنع، ولكنه يستطيع شكره والاعتراف بمعروفه. ولأن الشكر صفة من صفات المروءة وخلق مرضي صار يعبر عن المحبة، ويكافأ بما يناسب حال المنعم وحال الشاكر، فشكر الوالدين على تربيتهما ورعايتهما غير شكر الأصدقاء على عونهم وتعاونهم مع من يحتاج إلى العون والتعاون، وشكر المتفضلين على من هو بحاجة إلى فضلهم يختلف عن شكر الإخوان والوالدين على عملهما، وشكر النعمة التي يأتي بها والنجاح وما يحققه العمل غير الشكر الذي يظهره الشاكر لمن أولاه ما لا ليس له بحق، وأعطاه غير ما يجب له. والخلاصة أن كل حالة من حالات الفضل يقابلها حالة من حالات الشكر. ويقدر جزاءها من أنعم عليه المنعمون بأي شكل من الإنعام أو أحسن إليه الناس بما يحتاج إليه من ضروب الإحسان.

ولا شك إنه على الإنسان أن يذكر دائمًا نعم الله التي لا تُعَد ولا تُحصى، كما أن عليه أن يلزم شكره في السر والعلن، لأن الشكر يحفظ النعمة من الزوال، ولأن الشكر نعمة من نعم الله، فقد كان الفضيل بن عياض يقول: عليكم بملازمة الشكر على النعم، فقلّ نعمة زالت عن قوم فعادت إليهم، وكان بعض السلف يقول: النعم وحشية فقيدوها بالشكر، وكتب عدي بن أرطأة يومًا إلى عمر بن عبدالعزيز، وكان عمر قد ولاه على البصرة: إني بأرض كثُرت فيها النعم، وقد خفت على مَن قِبَلي من المسلمين قلة الشكر والضعف عنه، فكتب إليه عمر: إن الله لم يُنعم على قوم نعمة فحمدوه عليها إلا كان ما أعطوه أكثر مما أخذوا. واعتبر ذلك لقول الله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالا الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾[٤٦]، فأي نعمة أفضل مما أوتي داود وسليمان فكان جزاؤها الحمد والاعتراف بها وشكرها[٤٧].

---

[٤٦] سورة النمل: الآية ١٥.

[٤٧] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج١، ص٢٣٥.

www.mtenback.com

إنها لفتةٌ حكيمة من والٍ قائم على شؤون الناس، يريد أن يحفظ عليهم قلوبهم كما يحفظ عليهم تدبير شؤونهم وتصريف أمورهم، وقد علم أن سياسة النفوس سبيل الفلاح والقناعة والرضا وخشي من متغيرات الأحوال وزوال النعم إذا لم تقيد بالشكر.

وإنه لمن اللازم على الإنسان أن يكون دائمًا شاكرًا لربه قدر طاقته، فإن الله – كما قال سليمان التميمي[٤٨] – أنعم على عباده، وكلفهم من الشكر بقدر طاقتهم؛ فالشكر سيبقي للناس نعم الله عليهم، ويحفظها من الزوال، وكان علي بن أبي طالب يقول: إن النعمة موصولة بالشكر، والشكر معلَّق بالمزيد، وهما مقرونان في قرن، فلن ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من العبد[٤٩].

الشكر على الضراء:

إن الشكر من أقوى أسباب سعادة الإنسان في الدنيا؛ لأنه إذا كان شاكرًا كان راضيًا، لا يتسخط ولا يتشكى، يرى ما أنعم الله عليه كنزًا عظيمًا، فإذا نزل به بلاءٌ لم يجزع ولم يهن؛ لأنه يوقن أن الله إذا أحب عبدًا ابتلاه، وأن العبد إذا صبر كان خيرًا له، وإذا شكر كان خيرًا له.

قال رسول الله ﷺ: «عجبًا لأمر المؤمن! إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سرّاء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له»[٥٠] وهو توجيه يلامس حاجة الإنسان إلى العون في الملمات وصبره عليها؛ فإذا استشعر أن الجزاء لمشكلاته أو ما يواجه من أضرار الحياة وآلامها هو أجر مؤخر خفّ على نفسه كل ما يجد من صعوبات ومشكلات، وقابل المحن مهما كانت بنفس راضية واستعداد للتحدي والصبر على ما يجد من الناس أو من الزمن أو الحياة.

---

[٤٨] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ١، ص ٢٣٤.

[٤٩] ابن أبي الدنيا: كتاب الشكر، ص ٢١.

[٥٠] صحيح مسلم بشرح النووي، ج ١٨، ص ١٢٥.

www.mtenback.com

والشكر على المكاره أفضل درجة من الصبر عليها، وعلى الإنسان أن يعلم أن الله يبتلي بالرخاء كما يبتلي بالشدة، الطائعين وغيرهم على حد سواء، ولكن الشكر على الضراء لا يحتمله كثير من الناس، وربّما صّح القول إن الشكر على النعم فقط إنما هو شكر العامة، أما الشكر على النقم والنعم فهو شكر الخاصة، وقد قال البقاعي: «من يشكر على المكاره فهو إما رجل لا يميز بين الحالات، إذ يستوي عنده المكروه والمحبوب، فإذا نزل به المكروه شكر الله عليه، بمعنى أنه أظهر الرضا بنزوله به، وهذا مقام الرضا، وإما رجل يميز بين الأحوال، فهو لا يحب المكروه ولا يرضى بنزوله، فإذا نزل به مكروه فشكر الله عليه إنما هو كظم الغيظ وستر الشكوى، وإن كان باطنه شاكيًا والكظم إنما هو لرعاية الأدب بالسلوك في مسالك العلم، فإنه يأمر العبد بالشكر في السراء والضراء»[٥١]، وكان الربيع بن أنس يقول: «علامة الشكر الرضا بقدر الله والتسليم لقضائه».

إن على الإنسان أن يعلم أن الله يبتلي الناس بالخير والشر ليرى شكرهم وصبرهم، فيما يحبون ويكرهون. قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[٥٢]، وفي الحديث: من يرد الله به خيرا يُصِب منه، وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله، أي الناس أشد ابتلاء؟ قال: الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه، وإن كان في دينه رقّة خفّف عنه، وما يزال البلاء بالمؤمن حتى يمشي على الأرض وليس عليه خطيئة[٥٣].

---

[٥١] د. كاملة الأنوار حجاب: الشكر في القرآن، ص٢٩٠.

[٥٢] سورة الأنبياء: الآية ٣٥.

[٥٣] ابن قيم الجوزية: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ص٨٦.

www.mtenback.com

والإنسان الذي يعرف ربه ويخشاه لا يتغير مع تغير الأحوال به، وإنما هو دائمًا شاكر صابر، راضٍ بقضاء الله مهما يشتد به الكرب، ولا يكون ممن قال فيهم سبحانه: ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾[٥٤]، فإن الشكر على النعمة يحفظ الإنسان من الغرور ومن الفساد وإن الصبر على الضر يحفظه من الذل والانكسار، أما الشكر على الضر فيبلغ به أعلى الدرجات، ويبدل حاله من هم وغم إلى راحة واطمئنان، ومن يأس وقنوط إلى رضاء بقضاء الله وتسليم به، ومن ثم يظفر برضا الله في الدنيا والآخرة.

وإن الإنسان لا بد أن يصبر إما طائعًا أو كارهًا، فإن صبر طائعًا نال ثواب الله، وإلا صبر كارهًا وكان آثمًا. وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: يقول الله تعالى: من لم يرض بقضائي ويصبر على بلائي فليختر ربًا سواي. وقال علي رضي الله عنه، للأشعث بن قيس: إنك إن صبرت جرى عليك القلم وأنت مأجور، وإن جزعت جرى عليك القلم وأنت مأزور. فكأن الأثر فيما ورد من الأقوال يزيل قلق النفس وأوضارها، ويدفع بمدخولها إلى موطن النجاح في الحياة والصبر على ما يعترض المرء، مما لا يخلو منه حي.

وقد وعد الله تعالى الصابرين خيرًا كثيرًا: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[٥٥]، وفي الحديث القدسي: «قال الله عز وجل: إذا وجهت إلى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه أو ماله أو ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزانًا أو أنشر له ديوانًا»[٥٦].

---

[٥٤] سورة الحج: الآية ١١.

[٥٥] سورة البقرة: الآيات ١٥٥-١٥٧.

[٥٦] ابن قيم الجوزية: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ص٩٠.

www.mtenback.com

وقد صدق عبد الله بن طاهر حين كتب إلى أبي دُلَف أمير الكرخ: «المصائب حالّة لا بد منها، فمنها ما يكون رحمة من الله ولطفًا بعبده، وآية ذلك أن يوفقه للصبر، ويلهمه الرضا، ويبسط أمله فيما عنده من الثواب الآجل والخلف العاجل، ومنها ما يكون سخطًا وانتقامًا، أوله حزن وأوسطه قنوط وآخره ندامة، وهي المصيبة حقًا الجامعة لخسران الدنيا والآخرة»[٥٧].

ثم إن الله سبحانه ابتلى الأنبياء عليهم السلام ليكونوا قدوة للبشر في الصبر على البلاء والرضا بقضاء الله، ولنا في الرسول الكريم قدوة حسنة، فقد أصيب - من بين ما أصيب - بفقد أبنائه جميعًا في حياته عدا سيدة نساء العالمين، فاطمة الزهراء، فصبر وشكر، ولم يجزع ولم يقنط. وقد ورد في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ دعا بابنه إبراهيم، وهو يجود بروحه فضمه إليه وقال ما شاء الله أن يقول، فقال أنس: لقد رأيته وهو يكيد بنفسه (يجود بها) بين يدي رسول الله فدمعت عينا رسول الله فقال: تدمع العين، ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، والله يا إبراهيم، إنا بك لمحزونون[٥٨]. فالحزن من المصيبة شعور إنساني لا ينافي الشكر لله عليها وأجر الصبر الذي يستحقه من لم يسخط.

وكان الحسن رضي الله عنه يقول: الحمد لله الذي كلّفنا ما لو كلفنا غيره لصرنا فيه إلى معصيته، وآجرنا على ما لابد لنا منه، يقول: كلفنا الصبر ولو كلفنا الجزع لم يمكنا أن نقيم عليه وآجرنا على الصبر، ولا بد لنا من الرجوع إليه[٥٩]، وقد اشتكى

---

[٥٧] ابن قتيبة: عيون الأخبار، مج ٢، ج ٣.

[٥٨] صحيح مسلم بشرح النووي، مج ٨، ج ١٥، ص٧٥.

[٥٩] المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد: الكامل في اللغة والأدب، شرح: تغاريد بيضون ونعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)، ج٢، ص٣١٧.

www.mtenback.com

بعض أهل محمد بن علي بن الحسين فجزع عليه، ثم أُخبر بموته فسُرّيَ عنه؛ فقيل له في ذلك، فقال: ندعو الله فيما نحب، فإذا وقع ما نكره لم نخالف الله فيما أحب.

ولله دره إذ يقول[٦٠]:

وَيَفْرَحُ بِالشَّيْءِ المُعارِ بقاؤُهُ ... وَيَحْزَنُ لَمَّا صارَ وَهوَ لَهُ ذُخْرُ

عَلَيْكَ بِثَوْبِ الصَّبْرِ إِذْ فِيهِ مَلْبَسٌ ... فَإِنَّ ابْنَكَ المَحْمُودَ بَعْدَ ابْنِكَ الشُّكْرُ

وقد استخدم الشاعر الفعلين المضارعين وبينهما طباق، وهذا من مواطن الجمال في البيت الأول (يفرح ويحزن)، ليدلل على أن هذا هو حال الإنسان دائمًا، إذ الفعل المضارع يدل على التجدد، ويلفت النظر استخدامه عبارة «الشيء المعار بقاؤه»، فكلمة الشيء تدل على حقارة ما يفرح به الإنسان، وكلمة المعار تدل على أنه ليس بمالكه، ولابد أن يرجع هذا الشيء إلى صاحبه الأول يومًا. وقد أتى الشاعر بالكلمتين في موضع جر، وفي الكسرة انخفاض، وهذا ملمحٌ لغويّ نفسي على تفاهة ما يفرح به الإنسان. وحتى مع ضعف هذا الشيء وأن الإنسان ليس مالكه إلا أنه يصبح ذخرًا له، فكان عليه أن يسعد بدلاً من أن يحزن، والجار والمجرور يشيران إلى هذا. مع أن الإنسان يحرص بطبعه على ما ملكت يده أو صار في حوزته فلا يسهل عليه فقدانه أو خسارته مهما كان لكن الصبر سلاح يمنع الشعور بفداحة الخسارة حتى وإن كان فقد عزيز.

وقد أتى الشاعر في البيت الثاني بنعت حقيقي (المحمود) بعد كلمة (ابنك) الأولى و لم يأت بشيء بعد كلمة (ابنك) الثانية؛ ليبين أن الثواب في الصبر، والنعت شيء ثابت لا يتغير، على عكس الحال، كما استخدم (إنّ) ليؤكد بها كلامه.

وقد حدث أن مات ابن لهارون الرشيد، فكتب إليه ابن السمّاك، وهو فقيه محدث واعظ: «أما بعد، فإن استطعت أن يكون شُكْرُكَ لله حين قبضه أكثر من

---

[٦٠] ابن قتيبة: عيون الأخبار، مج٢، ج٧، ص٥٨.

www.mtenback.com

شكرك له حين وهبه؛ فإنه حين قبضه أحرز لك هبته، ولو سلم لم تسلم من فتنته، أرأيت حزنك على ذهابه وتلهفك لفراقه؟ أرضيت الدار لنفسك فترضاها لابنك؟! أما هو فقد خلص من الكدر، وبقيت أنت معلقًا بالخطر. واعلم أن المصيبة مصيبتان إن جزعت، وإنما هي واحدة إن صبرت، فلا تجمع الأمرين على نفسك»[٦١].

وعلى الإنسان أن يعلم أن فيما وُقي من المصائب ماهو أعظم من مصيبته، وأن هذا من نعم الله عليه التي لا يقوم بشكرها؛ ومن ثم فقد قال النبي ﷺ: إن لله تعالى في أثناء كل محنة منحة.

وقد عبّر بعض الشعراء عن هذا المعنى بقوله[٦٢]:

لاَ تَكْرَهِ المَكْرُوهَ عِنْدَ حُلُولِهِ ... إنَّ العَواقِبَ لَمْ تَزَلْ مُتَبايِنَهْ

كَمْ نِعْمَةٍ لا تَسْتَقِلُّ بِشُكْرِها ... لِلَّهِ فِي طَيِّ المَكارِهِ كامِنَهْ

وقد كان عروة بن الزبير من الذين أدركوا أن في الناس من هو أعظم بلاءً منه؛ ومن ثم حمد الله على ما أعطى وعلى ما أخذ، فقد أصيب بابن له، وأصابه الداء الخبيث في إحدى رجليه فقطعها، فكان يقول: كانوا أربعة - يعني بنيه - فأبقيت ثلاثة وأخذت واحدًا، وكُن أربعًا - يعني يديه ورجليه - فأخذت واحدة وأبقيت ثلاثًا. أحمدك، لئن كنت أخذت لقد أبقيت، ولئن كنت أبقيت لقد عافيت[٦٣]، وقد قيل: «ما ابتلى الله عبدًا ابتلاءً إلا كان لله عليه فيه نعمة ألا يكون ابتلاه بأشد منه»[٦٤].

وهناك سبب آخر أهم من كل الأسباب التي سقتها وهو أن المصيبة تهون إذا لم تكن مصيبة في الدين وقد أمرنا الرسول أن ننظر إلى من هو فوقنا في ديننا وإلى من هو

---

[٦١] ابن قتيبة: عيون الأخبار، مج ٢، ج ٣، ص ٦٣.

[٦٢] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص ٢٩٩؛ ابن قتيبة: عيون الأخبار، مج٢، ج٣، ص٦١.

[٦٣] ابن أبي الدنيا: كتاب الشكر، ص٦٤.

[٦٤] المصدر السابق، ص ٩٢.

www.mtenback.com

دوننا في دنيانا. قال ﷺ: «خصلتان من كانتا فيه كتبه الله صابرًا شاكرًا، ومن لم يكونا فيه لم يكتبه الله صابرًا ولا شاكرًا؛ من نظر في دينه إلى من هو فوقه فاقتدى به، ومن نظر في دنياه إلى من هو دونه فحمد الله على ما فضله به عليه، كتبه الله صابرًا شاكرًا، ومن نظر في دينه إلى من هو دونه ونظر في دنياه إلى من هو فوقه فأسف على ما فاته منه، لم يكتبه الله صابرًا ولا شاكرًا»[٦٥].

أثر الشكر:

سبقت الإشارة إلى أن الشكر يستبقي للناس نعم الله عليهم، ويحفظها من الزوال، وإلى أن النعمة موصولة بالشكر، والشكر معلق بالمزيد، وأنه لا ينقطع المزيد من الله إلا إذا انقطع الشكر من العبد. يقول سبحانه: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[٦٦].

فإذا نظرنا في كلمات الآية من الناحية اللغوية وجدنا أن «تأذن» على وزن «تفعّل»، وهذه الصيغة تفيد زيادة في المعنى؛ لأن فيها زيادة في المبنى، فيكون معنى «تأذن»: أعلم إعلامًا لا تبقى معه شبهة، وهذا توكيد، ثم تأتي أداتا توكيد أخريان في «لأزيدنكم»، وهما لام التوكيد ونون التوكيد، وهذا كله يفيد النص بالتوكيد على أن الشكر سبب المزيد من النعمة، فإن من شكر الله على رزقه وسّع عليه، ومن شكره على ما أنعم عليه به من صحة زاده الله صحة. فشكر النعمة «دليل على استقامة المقاييس في النفس البشرية؛ فالشكر، في الفطرة السوية، هو الجزاء الطبيعي لما يقدم للإنسان من خير. كما أن النفس التي تشكر الله على نعمته هي نفس تراقب الله في تصرفاتها، فلا بطر ولا استعلاء على الخلق، ولا استخدام للنعمة في الأذى والفساد»[٦٧].

---

[٦٥] ابن أبي الدنيا: كتاب الشكر، ص ٩٢.

[٦٦] سورة إبراهيم: الآية ٧.

[٦٧] محمد عزيس: معجم التعبيرات القرآنية، القاهرة، الدار الثقافية للنشر، (١٤١٨هـ/١٩٩٨م)، ص٣٣٤.

www.mtenback.com

هذا وإن من شكر النعمة التحدث بها، أي أن يقول العبد إن الله قد أنعم عليّ بكذا وكذا، بشرط ألا يستثير حسدًا ولا غيرةً ولا جحودًا لدى سامعيه. وفي الأثر المرفوع: «التحدث بنعمة الله شكر، وتركه كفر». وكان عمر بن عبدالعزيز يقول: ذكر النعم شكرها، والفضيل بن عياض يقول: «من شكر النعمة أن تحدث بها»[٦٨].

وقد أفاض الطرطوشي في كتابه «سراج الملوك» في الكلام على الزيادة في قول الله تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾، وأفاض في بيان المراد في الآية الكريمة، وهل هم قوم دون قوم، أو أن الأمر عام، وهل الزيادة تكون في الدنيا أو في الآخرة، وأخذ ينقل الآراء المختلفة في ذلك والأدلة عليها[٦٩].

إن الشكر يعود على الإنسان بالخير العميم، فشكر النعمة ومراقبة الله أمران من شأنهما تزكية النفس ودفعها للعمل الصالح، مما ينمي النعمة ويرضي الناس عن صاحبها، فيكونون له عونًا، وتصلح روابط المجتمع فتنمو فيه الثروات، وإن كان وعد الله، في حد ذاته، يكفي لاطمئنان المؤمن؛ لأن وعد الله حق واقع[٧٠].

وهذا من الآثار المترتبة على شكر الإنسان لله في الدنيا، أما عن الآثار أو الثمار المترتبة على الشكر في الآخرة، فتجدر الإشارة إلى قول الله عز وجل: ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾[٧١]. وإلى قول الرسول الكريم: ينادى يوم القيامة ليقم الحامدون، فتقوم زمرة فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة. قيل: ومن الحامدون؟ قال: الذين يشكرون الله على كل حال، وإلى

---

[٦٨] ابن أبي الدنيا: كتاب الشكر، ص٣٦-٣٧.

[٦٩] الطرطوشي: سراج الملوك، القاهرة، المطبعة المحمودية التجارية (١٣٥٤هـ/١٩٣٥م)، ص١٩٨-١٩٩.

[٧٠] محمد عتريس: معجم التعبيرات القرآنية، ص٣٣٤.

[٧١] سورة آل عمران: الآية ١٤٥.

www.mtenback.com

قوله ﷺ: «ما أنعم الله على عبد نعمة فقال الحمد لله إلا أدى شكرها، فإن قالها ثانية جدد الله له ثوابها فإن قالها ثالثة غفر الله له ذنوبه»، وإلى قول أبي سليمان المدائني: «جلساء الرحمن يوم القيامة من جعل فيه خصالاً: الكرم والسخاء والحلم والرحمة والرأفة والشكر والبر والصبر»[٧٢].

والكفر نقيض الشكر، وهو في اللغة ستر الشيء، وكفر النعمة قد يكون بترك أداء شكرها، أو ردّها إلى النفس وليس إلى الله، واهب كل النعم، مثلما رد قارون ثروته إلى عمله وليس إلى الله، فخسف الله به وبداره الأرض، فلم ينفعه ماله و لم ينفعه علمه. وقد يكون كفر النعمة بسوء استخدامها واستغلالها فيما يجلب على الإنسان الشر.

وكفر النعمة يعرضها للزوال ويعرض الإنسان للعذاب الشديد الذي قد «يتضمن محق النعمة فتذهب وتزول، وقد يكون سحق آثارها في الشعور، فلا يحس صاحبها بسعادة، بل تكون نقمة عليه، إلى حد أنه يحسد من لا نعمة عنده. وقد يكون هذا العذاب مؤجلاً إلى أجله في الدنيا أو في الآخرة، كما يشاء الله، لكنه واقع لأن الكفر بنعمة الله لا يمضي بدون جزاء»[٧٣].

وقد حدثنا القرآن عن عواقب ترك الشكر في الدنيا والآخرة، فالكفر بنعمة الله يحول من حالٍ إلى نقيضه، فهو يجعل الإنسان في الدنيا ذليلاً، وينقله من حال الأمن والرخاء إلى الخوف والفقر، ومن الفرح والسرور إلى الحزن والهم، أما في الآخرة فإن عذاب جهنم هو الجزاء. وفي سورة سبأ يحدثنا الله عز وجل عن قوم سبأ وعن جنتيهم وعن النعمة التي كانوا يعيشون فيها، فلما أعرضوا عن شكر الله أرسل عليهم سيل العَرِمِ الذي دمر مساكنهم، وأتلف بساتينهم، وحطم السد الذي كانوا يحتمون به،

---

[٧٢] ابن أبي الدنيا: كتاب الشكر، ص٨٤-٨٥.

[٧٣] محمد عتريس: معجم التعبيرات القرآنية، ص٣٣٤.

www.mtenback.com

وحوّل حياتهم إلى بؤس وشقاء. يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ. فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ. ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾[٧٤].

ومن الذين حل بهم غضب الله سبحانه وتعالى في الدنيا نظرًا لكفرهم وعدم شكرهم أصحاب الجنة الذين جاء ذكرهم في سورة القلم، وأهل عاد إرم، وهي عاد الأولى، وأهل القرية التي كانت آمنة مطمئنة فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون، وغير أولئك من الجبابرة الذين أهلكهم الله لكفرهم وعدم شكرهم، ولا يتسع المقام للوقوف على ذلك كله بالتفصيل وقد اكتفينا بالإشارة السريعة، وفي كتب التفسير المختلفة تفصيل لهذه القصص وعظاتها.

شكر الإنسان للإنسان:

سبقت الإشارة إلى أن القول الحسن مطلوب مع الأصدقاء ومع الأعداء. فهو مع الأصدقاء يحفظ الود والصداقة، ومع الأعداء يطفيء نار العداوة، أو على أقل تقدير يوقف تطورها. وقلنا إن الشكر أحد أركان الخلق الفطري السامي، وإن من الواجب على الإنسان أن يشكر كل من أسدى إليه معروفًا.

وقد رغّب الإسلام في الشكر وأمر به، كما رغّب في حُسْن الثناء واصطناع المعروف، وبهذا راعى كلاً من المعطي والآخذ. فالمعطي يحب أن يرى الشكر على معروفه، والمحتاج يحب أن يُسدَى إليه المعروف. وسيأتي الكلام على ذلك كله.

---

[٧٤] سورة سبأ: الآيات ١٥-١٧.

www.mtenback.com

وشكر الإنسان للإنسان يكون بمكافأة المعروف بمثله، أو بشكر المعروف باللسان والثناء عليه، وفي هذا قال بعض الحكماء: إذا قصرت يدك عن المكافأة فليطل لسانك بالشكر[٧٥].

وهو واجب لسببين: أولهما أنَّ في شكر الناس للناس شكرًا لله؛ فهو الذي أجرى المعروف على يد العبد، وثانيهما أن الناس ينتظرون المكافأة على ما قدموا من معروف، فإن لم يجدوها حبسوا معروفهم على أنفسهم، ومن هنا تشيع الكراهية بين الناس والأثرة، ويشيع الجحود، ومن ثم أمر الإسلام بأن يشكر الإنسان كل من أسدى إليه معروفًا. وكانت عائشة رضي الله عنها تكثر من إنشاد أبيات زهير بن جناب في شكر النعمة، فقال لها النبي يومًا: أبياتَك، فقالت[٧٦]:

ارْفَعْ ضَعِيفَكَ لا يَحُرْ بِكَ ضَعْفُهُ ... يَوْمًا فَتُدْرِكَهُ العَواقِبُ قَدْ نَمَى

يَجْزِيكَ أَوْ يُثْنِي عَلَيْكَ فَإِنَّ مَنْ ... أَثْنَى عَلَيْكَ بما فَعَلْتَ فَقَدْ جَزَى

فكان ﷺ يقول معقبًا: صدق يا عائشة لا شَكَرَ اللهُ من لا يشكر الناس. يقول الله تبارك وتعالى لعبد من عبيده: صنع إليك عبدي معروفًا فهل شكرته عليه؟ فيقول: يارب، علمت أنه منك فشكرتك عليه. قال فيقول الله عز وجل لم تشكرني؛ إذ لم تشكر من أجريته على يده. وفي هذا مسلك قويم وتهذيب رائع وتربية إنسانية صحيحة فالإنسان الشاكر هو من أظهر حمده لمن قدم له خيرًا أو عملاً نافعاً وأحسن إليه مهما كان نوع الإحسان.

وقد ذكر ابن التوءم الأسباب التي توجب على الإنسان أن يشكر أخاه الإنسان، فقال: «فإن شَكَرْنَا الناسَ على بعض ما جرى لنا على أيديهم، فلأمرين: أحدهما

---

[٧٥] ابن قتيبة: عيون الأخبار، مج٢، ج٣، ص١٧٨؛ ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج١، ص٢٣٤.

[٧٦] عبدالقاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص١٩.

www.mtenback.com

التعبد؛ وقد أمر الله تعالى بتعظيم الوالدين... وتعظيم من هو أسنُّ منا وإن كنّا أفضلَ منه. والآخر لأن النفس ما لاتُحَصِّل الأمور وتميِّزُ المعاني، فالسابق إليها حب من جرى لها على يديه الخير، وإن كان لم يردها و لم يقصِدْ إليها. ألا ترى أن عطية الرجل صاحبَه لا تخلو أن تكون لله أو لغير الله؛ فإن كانت لله فثوابه على الله؛ وكيف يجب في حجة العقل شكره، وهو لو صادف ابن سبيل غيري لما أعطاني. وإما أن يكون إعطاؤه إياي طلبًا للمكافأة، فإنما ذلك تجارة، أو يكون إعطاؤه إياي للذكر، فإن كان كذلك فإنما جعلني سُلَّمًا إلى حاجته وسببًا إلى بغيته، أو يكون إعطاؤه لخوف يدي أو لساني أو اجترار معونتي ونُصرتي، وسبيل هذا معروف؛ أو يكون إعطاؤه للرحمة والرقّة؛ ولما يجد في فؤاده من الحصر (احتباس الألم) والألم، فإنما داوى بتلك العطيَّة من دائه ورفَّه من خِنَاقه[٧٧].

وهذا يعني أن من الناس من يعطي لغير الله طلبًا للسمعة والذكر، أو دفعًا للأذى وجلبًا لمنفعة، أو شفقة. ولكن هناك أسبابًا أخرى غير التي ذكرها ابن التوءم تدفع إلى البذل والعطاء، ومنها أن يكون العطاء لفضل حاجة، أو سجية في النفس، أو جزاءً وشكرًا على صنيعة، إلى غير ذلك. والذي يعنينا هنا أن نتوقف عند من يعطي إرادة الذّكر، فنقول: إن الناس مولعون بحب الثناء، يعطون من أجله، ويمنعون لعدمه، وهم يطمئنون إلى الشاكرين، وينفرون من الجاحدين، ومن ذلك قول رجل لرجل شكره في معروف[٧٨]:

لَقَدْ ثَبَتَتْ فِي القَلْبِ مِنْكَ مَحَبَّةٌ كَما ثَبَتَتْ فِي الرَّاحَتَيْنِ الأَصَابِعُ

---

[٧٧] ابن قتيبة: عيون الأخبار، مج٢، ج٣، ص١٩١.

[٧٨] البيهقي: المحاسن والمساوىء، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، مكتبة نهضة مصر، (د.ت)، ج١، ص١٩٧، والجاحظ: المحاسن والأضداد، بيروت، دار مكتبة العرفان، د.ت، ص٣١.

www.mtenback.com

وقد أكد الشاعر في هذا البيت صدق محبته لمن شكره على معروفه بعدة وسائل، أولها استخدامه في مطلع البيت لأداة التوكيد (لقد)، إن جاز أن نعتبرها أداة واحدة، أي أنه منذ البداية حسم الأمر لأداة التوكيد، التي تفيد أن المحبة قد وقعت ولا مجال للشك فيها، وثانية هذه الوسائل استخدامه للفعل الماضي (ثبت) وهو يأتي بعد أداة التوكيد، والفعل الماضي يفيد الانقطاع، ونعني به حدوث الأمر والفراغ منه، أي أن المحبة حدثت ولا مجال للشك فيها، كما أن دخول أداة التوكيد على الفعل الماضي يفيد التحقيق، بخلاف ما إذا دخلت على الفعل المضارع، فإنها تفيد التقليل، وهذا كله يؤكد أن محبة الشاكر أمر قد وقع في قلب المشكور ولا سبيل لزعزعته، يؤكد هذا الفعل الماضي نفسه ثبت، أي أنها شيء أصبح راسخًا لا يزول.

وحسب المعروف إلى الناس من فضيلة وكرم إذا حبب صانعه وقرب صاحبه إلى قلوب الناس وأرضاهم عنه، فنزل منزلة القريب، وإن لم تكن له وسائل قرابة، ومنزلة الحبيب إلى النفوس والذي لا تمله ولا تريد بعده.

وتأتي الوسيلة الثالثة بعد ذلك، وهي وسيلة مركبة، ونعني بها تقديم الجار والمجرور (منك) على الفاعل محبة، وكذلك تقديم الجار والمجرور (في القلب) على الفاعل وعلى الجار والمجرور الآخر، وأصل الكلام: لقد ثبتت محبة منك في القلب، يريد من هذا أن حبَّه للشاكر قد وقر في قلبه، فهو حب أصيل وليس زائفًا، ثم أتى بالجار والمجرور منك ليبيِّن أنه يحب من شكره وليس أحدًا غيره.

ولا شك أن صانع المعروف إنسان مجبول بطبعه على الحب ومأمور به ومسخر بتقديم الجميل من القول والعمل إلى من يحتاج إليه، أو من تربطه به رابطة الزمالة في العمل أو الجوار في المسكن والرفقة في السفر وحتى تكون الأعمال الخيرة مشكورة فلا بد أن تنمى وظيفة الشكر في وجدان الناس وتتجدد آلية مقابلة المعروف بمثله.

www.mtenback.com

أطراف الشكر:

سبق القول إن الناس مولعون بحب الثناء، يعطي بعضهم من أجله، ويمنع لعدمه، فهم يطمئنون إلى الشاكرين، وينفرون من الجاحدين، وقد رغّب الإسلام في حسن الثناء واصطناع المعروف، فقال النبي ﷺ: إذا أردتم أن تعلموا ما للعبد عند الله فانظروا ماذا يتبعه من الثناء[٧٩]، وعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أنه قال: قلت للنبي ﷺ: الرجل يعمل العمل ويحبه الناس، قال: تلك عاجل بشرى المؤمن[٨٠]. وقد قال بعض أهل التفسير في قول الله تعالى: ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾[٨١] إنه أراد حسن الثناء من بعده.

ولا يعني هذا أن يكون هدف الإنسان من إسداء المعروف إحراز الثناء؛ فإن حب الثناء شر. وقد قال الحسن: أصول الشر وفروعه ستة: فالأصول الثلاثة: الحسد، والحرص، وحب الدنيا، والفروع كذلك: حب الرياسة، وحب الثناء، وحب الفخر[٨٢]، وينبغي أن يكون العطاء خالصًا لوجه الله، لا يبغي الإنسان من ورائه ذكرًا ولا شكرًا؛ فإن المعطي إذا التمس بعطائه الجزاء، وطلب به الشكر والثناء، فهو خارج بعطائه عن حكم السخاء؛ لأنه إن طلب به الشكر والثناء، كان صاحب سمعة ورياء، وفي هذين من الذم ما ينافي السخاء، وإن طلب به الجزاء كان تاجرًا متربحًا لا يستحق حمدًا ولا مدحًا[٨٣] ويمكننا القول إن البِّر نوعان: صِلة ومعروف، وإن المعروف نوعان كذلك: قول وعمل، وإن البر من أقوى أركان الإحسان وباب من أبواب الخير، وسبيل من أسباب السعادة، وقد صدق الذي قال:

---

[٧٩] ابن قتيبة: عيون الأخبار، مج ٢، ج ٣، ص ١٧٧؛ ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج١، ص ١٩٣.

[٨٠] المصدر السابق نفسه.

[٨١] سورة الشعراء: الآية ٨٤.

[٨٢] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٢، ص١٧٣.

[٨٣] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص٢٠٦.

www.mtenback.com

أَحْسِنْ إِلَى النَّاسِ تَسْتَعْبِدْ قُلوبَهُمُ إِذْ طَالَمَا اسْتَعْبَدَ الإِنْسَانَ إِحْسَانُ

وقد حض الإسلام على المعروف ورغّب فيه، في الحديث الشريف: «من ترك معونة أخيه المسلم والسعي معه في حاجته قُضيت أو لم تُقْض كُلِّف أن يسعى في حاجة من لا يؤجر في حاجته، ومن ترك الحج لحاجة عرضت له لم تُقْض حاجته حتى يرى رءوس المحلقين». وعنه ﷺ أنه قال: «كل معروف صدقة». وعنه ﷺ أنه قال: «صنائع المعروف تقي مصارع السوء»، لأن جميل الأخلاق وحسن الفعال مع الناس يستحق خاتمة كريمةً لحياة الإنسان النبيل الخيّر.

وإذا كان الإسلام قد حض على المعروف ورغّب فيه، فإنه نهى عن المنّ وأمر بمجانبته وبترك الإعجاب بفعل المعروف؛ لما فيهما من إسقاط الشكر، وإحباط الأجر. ورد في الحديث: إياكم والامتنان بالمعروف فإنه يبطل الشكر، ويمحق الأجر، ثم تلا ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى﴾[٨٤]، وسمع ابن سيرين رجلاً يقول لرجل: فعلت إليك وفعلت، فقال ابن سيرين: اسكت فلا خير في المعروف إذا أحصي. وقال بعض الحكماء: المن مفسدة الصنيعة، وقال بعض الأدباء: كَدَّرَ معروفًا امتنان. وضيّع حسبًا امتهان. وقال بعض البلغاء: مَنْ مَنَّ بمعروفه أسقط شكره، ومن أعجب بعمله أحبط أجره[٨٥]. وقد قال بعض الحكماء: أحي معروفك بإماتة ذكره، وعظّمه بالتصغير له. قال بعض الشعراء[٨٦]:

زَادَ مَعْرُوفَكَ عِنْدِي عِظَمًا أَنَّهُ عِنْدَكَ مَحْقُورٌ صَغِيرُ

تُتَنَاسَاهُ كَأَنْ لَمْ تَأْتِهِ وَهْوَ عِنْدَ النَّاسِ مَشْهُورٌ كَبِيرُ

---

[٨٤] سورة البقرة: الآية ٢٦٤.

[٨٥] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص٢١٠.

[٨٦] ابن قتيبة: عيون الأخبار، مج٢، ج٣، ص١٩٨؛ الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص٢١٠.

www.mtenback.com

إن للمعروف شروطًا لا يتم إلا بها، ومن ذلك ستره وإخفاؤه. وقد قال بعض الحكماء: إذا صنعت المعروف فاستره، وإذا صُنع إليك فانشره. ومن شروط المعروف - كذلك - تصغيره وتقليله وتعجيله. قال ابن عباس : لايتم المعروف إلا بثلاث: تعجيله وتصغيره وستره، فإنك إذا عجلته هنأته، وإذا صغرته عظمته، وإذا سترته أتممته[٨٧].

ومن شروط المعروف ألا يُحتقر منه شيء ولو كان المعروف يسيرًا، فإن المنع أقل من هذا اليسير، وقد جاء من المأثور: لا يمنعكم من المعروف صغيره، كما أن من شروط المعروف عدم المن والتطاول به؛ فإن المن يسقط الشكر ويحبط الأجر. وقد حضّ الشعراء على عدم المن بالمعروف، وعلى عدم الاستطالة به، يقول عروة بن أذينة الليثي[٨٨]:

لا تَتْرُكَنْ إِنْ صَنِيعَةٌ سَلَفَتْ ... مِنْكَ وَإِنْ كُنْتَ لا تُصَغِّرُها

إِلَى امْرِىءٍ أَنْ تَقُولَ إِنْ ذُكِرَتْ ... عِنْدَكَ فِي الجِدِّ لَسْتُ أَذْكُرُها

فَإِنَّ إِحْيَاءَها إِمَاتَتُها ... وَإِنَّ مَنًّا بِها يُكَدِّرُها

وَإِنْ تَوَلَّى امْرُؤٌ بِشُكْرِيَدٍ ... فَاللهُ يَجْزِي بِها وَيَشْكُرُها

لقد عرف العرب طبائع النفوس الأدبية الكريمة فكانت شيمهم صنع المعروف وتقليل ما صنعوا وستره حتى لا يجرحوا شعور المحسن إليهم، وكان الطرف الآخر طبيعته الثناء ورد المعروف والشكر على القليل والمدح الذي لا تزلف فيه ولا مجاملة وراءه، وقد كان الشعراء أكثر الناس ذكراً للمعروف وشكرًا له وبهذا كانوا يسجلون محامد الأجواد ويشكرونهم على أعمالهم التي تستحق الشكر ويبالغون بقدر وقع المعروف وحاجتهم إلى الأسعافِ وقد كانت مدائح الشعراء شاهدًا على ما في نفوسهم

---

[٨٧] ابن قتيبة: عيون الأخبار، مج٢،ج٣، ص١٩٨، وفي أدب الدنيا والدين، ص٢١٠ أن هذا القول للعباس بن عبد المطلب، رضي الله عنه.

[٨٨] ابن قتيبة: عيون الأخبار، مج ٣، ص ١٩٤.

www.mtenback.com

من أثر الإحسان. ولكنهم كانوا حذرين ممن يريد على معروفه شكراً وكأنه يعطي مقايضة المعروف بالمدح والحمد وقد فطن أبو العتاهية إلى هذا الحال فقال محذراً من هذا طبعه ورغبته[٨٩]:

وَلَيْسَتْ يَدٌ أَوْلَيْتَهَا بِغَنِيمَةٍ ... إِذا كُنْتَ تَرْجو أَنْ تَعُدَّ لَهَا شُكْرا

غِنَى المَرْءِ ما يَكْفِيهِ مِنْ سَدِّ حاجَةٍ ... فَإِنْ زادَ شَيْئًا عادَ ذاكَ الغِنَى فَقْرا

وإن من شروط المعروف أن يعتمد صاحبه أهل الفضل ليجعله فيهم، فإن المعروف فيهم ينمو ويزكو، وقد روي قوله ﷺ: لا تنفع الصنيعة إلا عند ذي حسب ودين، وقد قيل: لا خير في معروف إلى غير عروف، وقال بعض الشعراء في هذا المعنى[٩٠]:

لَعَمْرُكَ ما المَعْرُوفُ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ ... وَفِي أَهْلِهِ إِلاَّ كَبَعْضِ الوَدائِعِ

فَمُسْتَوْدَعٌ ضاعَ الَّذِي كانَ عِنْدَهُ ... وَمُسْتَوْدَعٌ ما عِنْدَهُ غَيْرُ ضائِعِ

وَما النَّاسُ فِي شُكْرِ الصَّنِيعةِ عِنْدَهُمْ ... وَفِي كُفْرِها إِلاَّ كَبَعْضِ المَزارِعِ

فَمَزْرَعَةٌ طابَتْ وَأَضْعَفَ نَبْتُها ... وَمَزْرَعَةٌ أَكْدَتْ عَلَى كُلِّ زارِعِ

وسوف نقف بشيء من التفصيل للحديث عن مساوئ الشكر أحيانًا هنا.

وخلاصة القول أن على الإنسان ألا يمنع المعروف عن أحد إلا عن اللئيم، وأن يكون العطاء لوجه الله، لا انتظار الثناء أو الشكر، بل إن على الإنسان أن يعطي، حتى ولو لم يُشْكر على معروفه، لأن المعروف لا يضيع. وقد صدق الحطيئة حين قال[٩١]:

---

[٨٩] أبو العتاهية، إسماعيل بن القاسم: ديوان أبي العتاهية، دار بيروت، بيروت، (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، ص١٨٦.

[٩٠] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص ٢١٢.

[٩١] الحطيئة، جرول، بن أوس: ديوان الحطيئة، شرح أبي سعيد السكري، دار صادر، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص١٠٩.

www.mtenback.com

مَنْ يَفْعَلِ الخَيْرَ لا يَعْدَمْ جَوازِيَهُ   لا يَذْهَبُ العُرْفُ بَيْنَ اللهِ وَالنَّاسِ

وكان علي بن أبي طالب يقول: «لا يزهدنك في المعروف كفر من كفره، فقد يشكر الشاكر بأضعاف جحود الكافر»، والإحسان لاتضيع ثماره، والمحسن ينال إثابته وشكره ولو في موضع لم يصنع فيه معروفًا أو موضعٍ لم يكن ينتظر فيه شكرًا، وقال ابن عباس: «لا يزهدنك في المعروف كفر من كفره؛ فإنه يشكرك عليه من لم تصطنعه إليه»، وفي هذا المعنى يقول الرياشي(٩٢):

يَدُ المَعْروفِ غُنْمٌ حَيْثُ كانَتْ   تَحَمَّلَهَا كَفورٌ أمْ شَكورُ
فَفِي شُكْرِ الشَّكورِ لَها جَزاءٌ   وعِنْدَ اللهِ ما كَفَرَ الكَفُورُ

وإذا كان الطرف الأول يعني صاحب المعروف الذي يجب أن يشكر، وهو يميل فطريًا إلى سماع كلمة الشكر، لأن «حب الثناء طبيعة الإنسان» فإن الطرف الآخر لهذه المسألة هو الشاكر الذي أُسْدي إليه معروف وصار مدينًا به، ومن الواجب عليه أن يرد هذا المعروف بمثله أو يزيد، إن كان يستطيع ذلك، فإن لم يستطع أن يكافىء فإن عليه نشر هذا المعروف وشكر فاعله، وإن لم يفعل كان آثمًا إن فعل ذلك عن قصد وسوء نية، فقد ورد في الحديث: «خمس يعاجل صاحبهن بالعقوبة: البغي، والغدر، وعقوق الوالدين، وقطيعة الرحم، ومعروف لا يشكر»(٩٣).

وقد جاءت الوصية بذلك: «اشكر لمن أنعم عليك، وأنعم على من شكرك؛ فإنه لا زوال للنعم إذا شكرت، ولا إقامة لها إذا كفرت، والشكر زيادة في النعم وأمان من الغير»(٩٤).

(٩٢) الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص ٢٠٨؛ الجاحظ: المحاسن والأضداد، ص٣٢.

(٩٣) البيهقي: المحاسن والمساوىء، ص ١٩٩؛ الجاحظ: المحاسن والأضداد، ص٣١.

(٩٤) البيهقي: المحاسن والمساوىء، ص ١٩٩؛ الجاحظ: المحاسن والأضداد، ص٣١.

www.mtenback.com

والإنسان إذا شكر صاحب المعروف ونشر أفضاله يكون قد أدى ما عليه، وخرج من دائرة الذم؛ «فإن من شكر معروف من أحسن إليه، ونشر أفضال من أنعم عليه، فقد أدى حق النعمة، وقضى موجب الصنيعة، ولم يبق عليه إلا استدامة ذلك إتمامًا لشكره ليكون للمزيد مستحقًا ولمتابعة الإحسان مستوجبًا»[٩٥].

وقد لخص علي بن أبي طالب القضية كلها فيما نسب إليه من شعر جاء فيه[٩٦]:

مَنْ جاوَزَ النِّعْمَةَ بِالشُّكْرِ لَمْ ... يَخْشَ عَلَى النِّعْمَةِ مُغْتالَها

لَوْ شَكَروا النِّعْمَةَ زَادَتْهُمُو ... مَقَالَةَ اللهِ الَّتي قَالَها

لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ ... لَكِنَّما كُفْرُهُمْ غالَها

وَالكُفْرُ بِالنِّعْمَةِ يَدْعُو إِلَى ... زَوالِها وَالشُّكْرُ أَبْقَى لَها

شكر أصحاب الفضل:

ذكرنا أن شكر الإنسان لأخيه الإنسان واجب على من يُسْدى إليه جميل؛ لأن الإنسان في فقر دائم إلى الشكر، وقد أمر الله في كتابه الكريم بشكر الإنسان للإنسان في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾[٩٧]. ولعل الاقتصار على ذكر شكر الوالدين في الآية إنما يرجع إلى أنّ إسداء الجميل منهما أمر مؤكد توجبه الفطرة الإنسانية السوّية التي لا شك في سلامتها، ثم يقاس عليهما كل من أسدى معروفًا لغيره من الناس، وإن لم يكن ذا قرابة وصلة، بل إن المعروف ممن لا تربطك به رابطة هو نبع صاف من معدن حسنٍ، دافعه حب الخير المركب بالنفس التي تصنع المعروف.

---

[٩٥] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص٢١٣.

[٩٦] المصدر السابق، ص٢١٥.

[٩٧] سورة لقمان: الآية ١٤.

www.mtenback.com

وشكر الإنسان لوالديه يكون بطاعتهما ورعايتهما وبرهما وتلبية أوامرهما إلا فيما نهى الله عنه، وقد قرن الله شكر الوالدين بشكره، وإن كان شكر الله ذكر أولا، وذلك ليبين عز وجل أن شكر الوالدين لا يقع موقعه إلا بعد شكر الله.

وجدير بالذكر أن الأمر ببر الوالدين في الإسلام يأتي بعد الأمر بعبادة الله مباشرة وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا. وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[98]، وفي الحديث أن ابن مسعود قال: «سألت رسول الله ﷺ أي العمل أفضل؟ قال: الصلاة لوقتها، قال: قلت: ثم أي؟ قال: بر الوالدين، قال: قلت: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله، فما تركت أستزيده إلا إرعاء عليه»[99]. بل إنهما مقدمان على التطوع بالصلاة وغيرها[100]. وما زلنا في الحديث عن أنواع من الشكر ونماذج من الوفاء وأهمها برُّ الوالدين الذي يسعد الإنسان في دنياه وآخرته، والذي يجعل دعاءه لنفسه ولغيره مقبولاً عند الله. ففي فضائل أويس القرني رضي الله عنه ورد أن الرسول ﷺ قال: «يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن، كان به برص فبرئ منه إلا موضع درهم، له والدة هو بها بَرٌّ، لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل»[101].

وقد رُكّب حبّ البر بالوالدين في قلوب الناس والحيوانات، إلا من قسا قلبه. ومن الغريب أن يكون بعض الطيور والحيوانات أبر بالوالدين من بعض الناس، ومن

---

[98] سورة الإسراء: الآيتان ٢٣-٢٤.

[99] صحيح مسلم: بشرح النووي، مج ١، ج ٢، ص ٧٢.

[100] السابق، مج ٨، ج ١٦، ص ١٠٥.

[101] صحيح مسلم بشرح النووي، مج ٨، ج ١٦، ص ٩٥.

www.mtenback.com

أوفى الطيور بوالديه طائر الهدهد، الذي يقال عنه إنه إذا كبر أبواه في السن حمل إليهما الطعام ويروح يضع الطعام بمنقاره في منقاريهما - كما كانا يفعلان معه صغيراً. وقد زعمت بعض الأساطير أن التاج الذي يحمله على رأسه هو رمز لبره بأبويه، فقد قالت الأساطير إن أمه قد ماتت في الزمن القديم وحملها على رأسه حتى واراها التراب، فكافأه الله على بره بوالديه بأن منحه تاجًا من الريش يزدان به، ويكون رمزًا لبره ووفائه.

وفي تراثنا الإسلامي كثير من القصص الجميلة عن بر الوالدين، ومنها أن علي ابن الحسين رضي الله عنه كان يمتنع من مؤاكلة أمه، فسئل عن ذلك، فقال: أخاف أن تسبق يدي إلى لقمة تقع عينها عليها فأكون قد عققتها[١٠٢].

وذكر المأمون، الخليفة العباسي، بر الأبناء بالآباء، فقال: لم أر أحدا أبر من الفضل بن يحيى؛ فإنه بلغ من بره بأبيه أنهما حيث حُبسا كان الفضل يسخن ليحيى الماء لوضوئه؛ لأنه كان يتوضأ بالماء الساخن، فمنعهم السجان ذات ليلة من إدخال الحطب، والليل بارد، فقام الفضل حين أخذ يحيى مضجعه إلى قمقم كان يسخن فيه الماء فملأه من الجب، ثم جاء به إلى القنديل فأدناه منه، فلم يزل قائمًا والقمقم في يده حتى أصبح وقد سخن الماء فأدناه من أبيه[١٠٣].

وسئل عمر بن ذر: ما بلغ من بِرّ ابنك بك؟ فقال: ما مشى معي بنهار قط إلا قدّمني، ولا بليل إلا تقدمني، ولا رقى سطحًا وأنا تحته[١٠٤].

وحدث أن رجلاً كان يحمل أمه في الطواف وهو يقول:

---

[١٠٢] البيهقي: المحاسن والمساوىء، ص٣٦٤؛ المبرد: الكامل، ج١، ص١٩٦؛ ابن قتيبة: عيون الأخبار مج٢، ص١١٠.

[١٠٣] البيهقي: المحاسن والمساوىء، ص٣٦٠؛ ابن قتيبة: عيون الأخبار، مج٢، ص١١٢.

[١٠٤] المبرد: الكامل في اللغة والأدب، ج١، ص٩٩؛ ابن قتيبة: عيون الأخبار، مج٢، ص١١١.

www.mtenback.com

إنّي لَهـا مَطِيَّةٌ لا أُذْعَرُ إذا الرِّكابُ نَفَرَتْ لا أَنْفِرُ
ما حَمَلَتْ وَأَرْضَعَتْني أَكْثَرُ اللهُ رَبّي ذُو الجَلالِ أَكْبَرُ

ثم التفت إلى ابن عباس فقال له: أتراني قضيت حقها؟ فقال: لا والله، ولا طلقة من طلقاتها[١٠٥]. يعني آلام الولادة وشدتها.

وفي سورة الأحقاف نرى صورة للشكر الصادر عن الإيمان العميق والإحساس بالواجب، يقول الله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ. أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾[١٠٦].

والإنسان إذا بلغ من العمر مبلغًا تكتمل فيه قوته، فعندئذ تعظم في نفسه دواعي الغرور وأسبابه، ولكن الإنسان الصالح لا ينسى خالقه ولا يطيش عن أداء واجبه، ويزداد يقينًا بأنه في أمس الحاجة لرحمة ربه، وأنه في حاجة إلى عون من الله ليستطيع أن يؤدي شكر النعمة التي أنعم بها عليه.

وإذا كان من الواجب على الإنسان أن يكون بارًا بوالديه، وهذا هو شكر فضلهما، فإن عليه - كذلك - شكر من علّمه، ومن أسدى إليه معروفًا.

وشكر العلماء يكون بتوقيرهم والأدب معهم، وقد أفاض العرب والمسلمون الأوائل في وصف الأدب مع العالم، وهو ما يطلق عليه أدب المتعلم. كان علي بن أبي

---

[١٠٥] البيهقي: المحاسن والأضداد، ص٣٦٣؛ محمد عتريس: معجم التعبيرات القرآنية، ص٣٦٨.

[١٠٦] سورة الأحقاف: الآيتان ١٥-١٦.

www.mtenback.com

موقع الدكتور عبد ... www.mtenback.com

طالب رضي الله عنه يقول: «من حق العالم عليك إذا أتيته أن تسلم على القوم عامة وتخصه بالتحية، وأن تجلس قدامه ولا تشير بيدك، ولا تغمز بعينك ولا تقول قال فلان خلافًا لقوله، ولا تغتاب عنده أحدًا، ولا تسار في مجلسه، ولا تأخذ بثوبه، ولا تلح عليه إذا كسل، ولا تغرض (تضجر) من صحبته لك، فإنما هو بمنزلة النخلة لا يزال يسقط عليك منها شيء»[١٠٧].

هذا وإن من شكر المعلِّم أن يتملقه المتعلم دون كذبٍ ونفاق؛ لأن التملق للعالم يظهر مكنون علمه. وقد روى عن النبي ﷺ: «ليس من أخلاق المؤمن الملق إلا في طلب العلم». كما أنه يجب على المتعلم أن يقتدي بأخلاق معلمه، وألا يُدلّ عليه، وألا يخالفه في رأيه، وألا يزدريه، وأن يسأله عما لا يعرفه، وأن يوقره وأن يتحرى رضاه، وألا يدخل عليه بغير إذن، وألا يرفع صوته أمامه، وألا يسبقه إلى شرح مسألة أو جواب، وأن يصبر على جفوة شيخه، إلى غير ذلك[١٠٨].

وقد عدد الناس أهل الشكر الذين يجب أن يشكروا فكان منهم كل من أسدى معروفًا وجب على من يُسْدَى إليه أن يشكر، والناس مختلفون في مراتب الشكر، وقد عرض بعض الشعراء كيف يكون الشكر فقال[١٠٩]:

شُكْرُ الإِلَهِ بِطُولِ الثَّنَاءِ وَشُكْرُ الوُلاَةِ بِصِدْقِ الوَلاَءِ

وَشُكْرُ النَّظِيْرِ بِحُسْنِ الجَزَاءِ وَشُكْرُ الدَّنِيِّ بِحُسْنِ العَطَاءِ

إذن الشكر يحدد طريقته صلة المنعم بمن يجب منه الشكر، ولكل حال مايصلح من الشكر ومايناسب حال المتفضل به الذي يعود إليه الحمد ويحسن له الشكر. وقد أصبح

---

(١٠٧) ابن قتيبة: عيون الأخبار، مج ١، ج ٢، ص ١٣٥؛ ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٢، ص ٩١.

(١٠٨) الإمام النووي، يحيى الدين يحي بن شرف: آداب العالم والمتعلم (مقدمة المجموع)، تقديم إبراهيم بن محمد، القاهرة (طنطا)، دار الصحابة للتراث، (١٤٠٨هـ/١٩٨٧م)، ص٤٤-٥٣.

(١٠٩) الماوردي: أدب الدنيا والدين.

www.mtenback.com

الشكر قبول النعمة والإقرار بها والاعتراف بفضل المنعم. وقد تلطف أحد الشعراء بأن زعم أن الشكر مطلبٌ لايستغني عنه أحد، بل كل يجب أن يبذل مايجب أن يشكر عليه، ولو كان أحد يستغني عن الشكر لاستغنى عنه الله بجلاله الذي أمر عباده بالشكر له. وفي ذلك يقول الشاعر، وقد أحسن فيما قال[١١٠]:

فَلَو كَانَ يَسْتَغْنِي عَنِ الشُّكْرِ مَاجِدٌ ... لِعِزَّةِ مُلْكٍ أَوْ عُلُوٍّ مَكَانِ

لَمَا أَمَرَ اللَّهُ العِبَادَ بِشُكْرِهِ ... فَقَالَ اشْكُرُوا لِي أَيُّهَا الثَّقَلاَنِ

وهكذا يمضي الأمر في شكر كل صاحب معروف أو فضل. وقد آثرنا هنا أن نقف عند شكر الوالدين وشكر المعلمين، وفي ثنايا البحث إشارات مختلفة إلى أصحاب الفضل الآخرين كما يظهر أن الشكر مطلوب ومرغوب فيه، وأن الإنسان لايستغني عنه ولو كان ملكًا أو عزيزًا أو غير ذلك.

والشكر هو الوسيط بين الشاكر والمشكور، وهو ثمن المعروف وذلك بنشره وذكره وحمد فاعله، ولهذا السبب يجب على الإنسان أن يعتمد أهل الفضل فيجعل فيهم معروفه؛ فإنهم لا يضيعونه وقد ضرب بعض الحكماء مثلاً على ذلك فقال: وفاعل المعروف يتوقع ممن أسدى إليه معروفًا أن يشكره، وأن يحسن ذكره وينشره. وأما إذا لم يصنع فإنه يعد ناكرًا للجميل، وقد أكثروا في وصف من يشكر وأثنوا عليه وأكثروا في وصف من لايشكر واحتقروه وضربوا به الأمثال فقالوا: المعروف إلى الكرام يعقب خيرًا، والمعروف إلى اللئام يعقب شرًا، ومثل ذلك مثل المطر، يشرب منه الصدف فيعقب لؤلؤًا، وتشرب منه الأفاعي فتعقب سما[١١١].

وهناك بعض القصص الطريفة التي أثرت عن العرب، دلت على أنه من الواجب منع المعروف عن اللئيم وعمن لا يشكر، ومنها أن جماعة أثارت ضبُعًا، فدخلت الضبع

---

[١١٠] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص ٢٠٦٥.

[١١١] البيهقي: المحاسن والمساوىء، ص٢٠٣؛ الجاحظ: المحاسن والأضداد، ص ٣٣.

www.mtenback.com

خباء شيخ منهم، فقالوا: أخرجها، فقال: ما كنت لأفعل، وقد استجارت بي، فانصرفوا، وكانت هزيلا، فأحضر لقوحًا[١١٢]، فجعل يسقيها حتى عاشت، فنام الشيخ ذات يوم، فوثبت عليه فقتلته، فقال شاعرهم في ذلك[١١٣]:

وَمَنَ يَصْنَعَ المَعْرُوفَ في غَيْرِ أهْلِهِ ... يُلاقي الَّذي لاَقَى مُجيرُ امِّ عَامِرِ

أعَدَّ لَها لَمَّا اسْتَجَارتْ بِقُرْبِهِ ... غِذاءً مِنَ ألْبَانِ اللِّقَاحِ الدَّرَائِرِ

وأَسْمَنَهَا حَتَّى إذَا مَا تَمَلأَّتْ ... فَرَتْهُ بِأَنْيَابٍ لَهَا وأَظَافِرِ

فَقُلْ لِذَوي المعروفِ:هَذا جَزَاء مَن ... يَجودُ بِمعْرُوفٍ إلى غَيْرِ شَاكِرِ

فشكر الناس لايكون إلا ممن منبته طيب ونفسه مخصبة تظهر المعروف وتشكر أهل الفضل، وتعترف لكل إنسان بعمله إن كان خيراً أثنت عليه وذكرته وحمدت له معروفه، وإن كان غير ذلك تجاوزته وغفلت عنه.

الشكر في التراث الأدبي:

التراث العربي – شعره ونثره – مملوء بذكر هذه القيمة الاجتماعية، وقد تضمن الشعر قسطًا وافرًا من معالجة الشكر وإذا كنا نعلم أن الشعر – كما قالوا – ديوان العرب، فإن المدح أهم أغراض الشعر العربي على الإطلاق، إلا أن الشكر أعم من المدح والحمد؛ ومن ثم فإنه قلّ أن نجد شاعرًا لم يشكر أو بمعنى أدق لم يمدح، وذلك لأسباب عدة، لعل أهمها أن الشعر كان بمنزلة الحرفة التي امتهنها كثير من الشعراء، فصار الشعر مصدر رزقهم، ومن الشعراء القليلين الذين قيل إنهم لم يمدحوا أحدًا جميل ابن معمر وعمر بن أبي ربيعة. أما جميل فلم يكن يمدح إلا ذويه وأقرباءه، وإن كان

---

[١١٢] اللقوح: الناقة الحلوب.

[١١٣] البيهقي: المحاسن والمساوئ، ص ٢٠٣؛ الجاحظ: المحاسن والأضداد، ص ٣٠٨-٣٢٤.

www.mtenback.com

ابن سلام الجمحي يرى أنه مدح عبدالعزيز بن مروان[١١٤]. وأما عمر فقد شغل بالغزل عن المدح.

ومن منطلق الاحتراف كان بعض الشعراء يشكرون من يعطيهم ويذمون من يمنعهم، ولا يعرضون لمن لم يسألوه، وهذا المسلك لم يرض نُصيبًا الشاعر الذي كان يقول: إنما الناس أحد ثلاثة: رجل لم أعرض لسؤاله فما وجه ذمه؟، ورجل سألته فأعطاني فالمدح أولى به من الهجاء، ورجل سألته فحرمني فأنا بالهجاء أولى منه[١١٥].

وقليل من الشعراء من ذهب مذهب نصيب بعدم ذم أحد من الناس ومنهم عبد الكريم بن إبراهيم الذي لم يهج أحدًا قط، وكان يتمثل بقول منظور بن سحيم الفقعسي[١١٦]:

وَلَسْتُ بِهَاجٍ فِي القِرَى أَهْلَ مَنْزِلٍ ... عَلَى زادِهِمْ أَبْكِي وَأُبْكِي البَواكِيا

فَإِمَّا كِرَامٌ مُوْسِرُونَ أَتَيْتُهُمْ ... فَحَسْبِي مِنْ ذو عِنْدَهُمْ مَا كَفانِيا

وَإِمَّا كِرَامٌ مُعْسِرُونَ عَذَرْتُهُمْ ... وَإِمَّا لِئَامٌ فَادَّخَرْتُ حَيائِيا

وقد قالوا إن على الشاعر أن يكون مدحه شريفًا، واقتضاؤه لطيفًا، وهجاؤه إن هجا عفيفًا، فإن الاقتضاء الخشن ربما كان سبب المنع والحرمان، وداعية القطيعة والهجران. ومن أجل ذلك علّق ابن رشيق على قول محمد بن يزيد الأموي لعيسى بن فرخان شاه لما استبطأ عطاءه:

أَبا مُوسَى، سَقَى أَرْضَكَ ... دانٍ مُسْبِلُ القَطْرِ

---

[١١٤] ابن رشيق، الحسن القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الجيل، ط٥، (١٤٠١هـ/١٩٨١م)، ج١، ص٨٢.

[١١٥] المصدر السابق، ص١١٢.

[١١٦] المصدر السابق، ج٢، ص١١٢.

www.mtenback.com

وَزادَ اللّـــهُ فِــــي قَـــدْرِ ... كَ مَـــا أَخمَلْـتَ مِـــنْ قَـــدْرِي
لَقَـــدْ كُنْــتُ أُرَجِّـــيْكَ ... لِمـــا أَخْشَـــى مِـــنَ الدَّهْـــرِ
فَقَـــدْ أَصْبَحْـــتَ مِـــنْ أَوْكَـــ ... ــدِ أَسْبابِي إِلَـــى الفَقْـــرِ
أَتَرْضَـــى لِـــي بِـــأَنْ أَرْضَـــى ... بِتَقْصِـــيرِكَ فِـــي أَمْـــرِي؟
وَقَـــدْ أَفْنَيْـــتُ مَـــا أَفْنَيْـــ ... ــتُ فِـــي شُـكْرِكَ مِـــنْ عُمْـرِي
مَوَاعِيـــدٌ كَمَـــا أَخْبَـــتْ ... سَـــرابُ الْمَهْمَـــهِ القَفْـــرِ
فَمِـــنْ يَـــوْمٍ إِلى يَـــوْمٍ ... وَمِـــنْ شَـــهْرٍ إِلى شَـــهْرِ
فَلَـمْ أَحْصَـلْ عَلَـــى قِيمَـــ ... ــةِ مَـــا قَلَّمْـتَ مِـــنْ ظُفْـــرِي
لَعَـــلَّ اللهَ أَنْ يَصْنَـــ ... ــعَ لِـي مِـــنْ حَيْـــثُ لا أَدْرِي
فَأَلْقَـــاكَ بِـــلا شُكْـــرٍ ... وَتَلْقَـــانِي بِـــلا عُـــذْرِ
وَلا أَرْجُـوكَ فِـي الحَـــالَيـــ ... ــنِ لا العُسْـــرِ وَلاَ اليُسْـــرِ

بأن هذا هو العتاب الممض، والتوبيخ الذي دونه الجلد بالسوط، بل بالسيف[١١٧].

وقد أثر عن النبي ﷺ أنه كان يقبل مدح الشعراء، وكان يكافئهم عليه. فعندما مدحه كعب بن زهير كساه بردا في القصة المعروفة، وكان يرى أنه من الأفضل تجنب لسان الشعراء، فعندما مدحه عباس بن مرداس قال: اقطعوا عني لسانه، قالوا: بماذا يا رسول الله؟ فأمر له بحُلَّة قطع بها لسانه.

إن على الإنسان أن يقدم المعروف حتى يجد الشكر بعد ذلك؛ لأن الناس لا يحمدون أحدًا لم يروا منه إحسانًا. وقد صدق الشاعر حين قال[١١٨]:

---

(١١٧) ابن رشيق: العمدة، ج ١، ص ١٥٩.

(١١٨) ابن قتيبة: عيون الأخبار، مج ٢، ج٣، ص ١٧٨.

www.mtenback.com

عُثْمانُ يَعْلَمُ أَنَّ الحَمْدَ ذُو ثَمَنٍ لَكِنَّهُ يَشْتَهِي حَمْدًا بِمَجَّانِ
وَالنَّاسُ أَكْيَسُ مِنْ أَنْ يَحْمَدُوا أَحَدًا حَتَّى يَرَوْا قَبْلَهُ آثارَ إِحْسانِ

وقد قال المساور بن هند يحض على شكره[١١٩]:

أَلَمْ تَعْلَمُوا يا عَبْسُ لَوْ تشْكُرونَني إِذا التَفَّتِ الذَّوادُ كَيْفَ أَذُودُ

وقال بنو تميم لسلامة بن جندل: مجّدنا بشعرك، فقال: افعلوا حتى أثْني. بل إن بعض الشعراء رأى أن تأخير المعروف يستأهل الذم وليس الشكر، فقال[١٢٠]:

أَهْلَكَتْنِي بِفُلانٍ ثِقَتِي وَظُنُونٍ بِفُلانٍ حَسَنَهْ
لَيْسَ يَسْتَوْجِبُ شُكْرًا رَجُلٌ نِلْتُ خَيْرًا مِنْهُ مِنْ بَعْدِ سَنَهْ

والشاعر لم يكتف بعدم شكر صاحبه، بل ذمّه بعدة وسائل: أولها أنه كنّى عنه بلفظ فلان مرتين، ولم يصرح باسمه، ولا يقال إنه لم يذكر اسمه لأنه لا يريد أن يؤذيه، وإنما لم يذكره لأنه يريد أن ينساه فقد تسبب في هلاكه، على حد تعبيره، ولا يعقل أن يذكره بخير بعد ذلك.

وثانيها أنه كنى بلفظ رجل وجاء به نكرة، والنكرة في العربية تأتي للتعظيم أو التحقير، وقد جاءت هنا للتحقير، كما أنه فصل بينه - وهو الفاعل - وبين الفعل بفاصل؛ لأنه ليس مناط الاهتمام.

وثالثها أنه قَدَّم شكرًا وجاء به نكرة؛ ويمكن أن نقول هنا إنه جاء للغرضين، فهو نكرة لأنه شيءٌ عظيم لا يستحقه أمثال هذا الرجل، وهو نكرة؛ لأنه يرى أن أمثال هذا الرجل لا يستحق أي لون من الشكر، وإن كان تافهًا.

---

[١١٩] ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص ٢١٧.

[١٢٠] ابن قتيبة: عيون الأخبار، مج ٢، ج ٣، ص ١٨٥.

www.mtenback.com

ورابعها وصفه لظنونه بهذا الرجل بأنها كانت حسنة؛ ومن ثم كان هلاكه، وكان يجب عليه ألا يظن بهذا الرجل إلا ظنا سيئًا.

وخامسها وصفه للمدة التي نال بعدها الخير من هذا الرجل بأنها (بعد سنة)، أي أنها مدة طويلة في عُرْف الشاعر، وإن لم تكن سنة على الحقيقة؛ مما تسبب في ضيق الشاعر من صاحبه.

والشعراء يرون أن منع المعروف يستوجب منع الشكر، والشكر أهم كما سنرى بعد قليل. يقول الطائي لإسحاق بن إبراهيم[١٢١]:

وَمُحَجَّبٍ حَاوَلْتُهُ فَوَجَدْتُهُ ... نَجْمًا عنِ الرَّكْبِ العُفَاةِ شَسُوعًا

أَعْدَمْتُه لَمَّا عُدِمْتُ نَوالَهُ ... شُكْرِي فَرُحنَا مُعْدَمَيْنِ جَمِيعًا

وقال آخر[١٢٢]:

حَسْبُ امْرِىءٍ إِنْ فَاتَنِي غَرَضٌ ... مِنْ بِرِّهِ أَنْ فاتَهُ شُكْرِي

إِنِّي إِذا ضاقَ امْرُؤٌ بِجِدًّا ... عَنِّي اتَّسَعْتُ عَلَيْهِ بِالعُذْرِ

وسأل عبدالرحمن بن حسان بعض الولاة حاجة فلم يقضها له، فسألها آخر فقضاها له، فقال يذم الذي منعه حاجته[١٢٣]:

ذُمِمْتَ وَلَمْ تُحْمَدْ وَأَدْرَكْتُ حَاجَتِي ... تَوَلَّى سِوَاكُم أَجْرَهَا وَاصْطِناعَهَا

أَبَى لَكَ كَسْبَ الحَمْدِ رَأْيٌ مُقَصِّرٌ ... وَنَفْسٌ أَضَاقَ اللهُ بِالخَيْرِ باعَهَا

إِذا هِيَ حَثَّتْهُ عَلَى الخَيْرِ مَرَّةً ... عَصاهَا وَإِنْ هَمَّتْ بِشَرٍّ أَطاعَهَا

---

[١٢١] ابن قتيبة: عيون الأخبار، مج ٢، ج ٣، ص١٦٦، والشسوع: البعيد، والعفاة: الفقراء.

[١٢٢] المصدر السابق: مج٢، ج٨، ص ١٦٦، والجرا: العطية.

[١٢٣] المصدر السابق: مج٢، ج٨، ص١٩٢-١٩٣.

www.mtenback.com

وقد أتى الشاعر بالفعل مبنيًا للمجهول مرتين في الشطر الأول من البيت الأول تحقيرًا لهذا الوالي الذي حرمه حاجته، كما أن زمن الفعلين ماضٍ، أي أن هذا الذم شُهر وشاع في الناس ولا سبيل إلى ردّه، فإذا قرأنا الشطر مرة ثانية واضعين في الاعتبار الفاعل الذي غُيّب وجدنا أن الفعلين يدلان على تعظيم مَنْ ذم هذا الوالي، كما أن الذامّ يمكن أن يكون أكثر من رجل، وفي الأبيات ألفاظ أخرى ووسائل كلها تتعاضد لتؤدي دورها في ذم هذا الرجل، ومنها: رأي مقصر، ونفس، ومرة، والمقابلة بين جملتي الشرط اللتين تقتسمان البيت الثالث.

وإذا كان هذا الفريق يرى أنه لم يَشْكر لأنه لم يُعْطَ – والبادئ أظلم – فإن هناك فريقًا آخر يرى أنه أعطى ولم يُشْكَر، والبادئ أكرم، وفي هذا اللون تظهر الآثار المترتبة على عدم الشكر أو جحود النعمة. يقول معاوية بن أبي سفيان يعاتب قريشًا[١٢٤]:

إِذا أَنا أَعْطَيْتُ القَلِيلَ شَكَوْتُمُ ... وَإِنْ أَنا أَعْطَيْتُ الكَثِيرَ فَلا شُكْرُ
وَمالُمْتُ نَفْسِي فِي قَضَاءِ حُقُوقِكُمْ ... وَقَدْ كانَ لِي فِيما اعْتَذَرْتُ بِهِ عُذْرُ
وَأَمْنَحُكُمْ مالِي وَتُكْفَرُ نِعْمَتِي ... وَتَشْتِمُ عِرْضِي فِي مَجالِسِها فِهْرُ
إِذا العُذْرُ لَمْ يُقْبَلْ وَلَمْ يَنْفَعِ الأَسَى ... وَضاقَتْ قُلُوبٌ مِنْهُمُ حَشْوُها الغِمْرُ
فَكَيْفَ أُداوِي داءَكُمْ، وَدَواؤُكُمْ ... يَزِيدُكُم غَيًّا ! فَقَدْ عَظُمَ الأَمْرُ
سَأَحْرِمُكُمْ حَتَّى يَذِلَّ صِعابُكُم ... وَأَبْلُغُ شَيْءٍ فِي صَلاحِكُمُ الفَقْرُ

فإذا صحت هذه الأبيات لمعاوية وهو خليفة فإن الأمر يحتاج إلى دراسة معنى الشكر وتقديره، وأهمية أن يشكر المرء من أنعم عليه حتى لو كان هذا الإنعام واجبًا عليه، وليس تطوعًا منه، كما يدلنا هذا القول لمعاوية على أهمية الشكر ووقعه في

(١٢٤) ابن قتيبة: عيون الأخبار، مج٢، ج٣، ص ١٧٩، والغمر: الحقد.

www.mtenback.com

النفوس وسلامة معناه إذا قيل في حدود المعقول و لم يبالغ به الشاكر حتى لا يخرج إلى التملق الممقوت.

وقد شكا أبو العتاهية من عدم شكر الناس له فقال[١٢٥]:

يَارَبِّ إِنَّ النَّاسَ لا يُنْصِفُونَنِي ... فَكَيْفَ وَإِن أَنْصَفْتَهُمْ ظَلَمُونِي
فَإِنْ كَانَ لِي شَيْءٌ تَصَدَّوْا لأَخْذِه ... وَإِنْ جِئْتُ أَبْغِي شَيْئَهُمْ مَنَعُونِي
وَإِنْ نَالَهُمْ بَذْلِي فَلا شُكْرَ عِنْدَهُمْ ... وَإِنْ أَنَا لَمْ أَبْذُلْ لَهُمْ شَتَمُونِي
وَإِنْ طَرَقَتْنِي نَكْبَةٌ فَكِهُوا بِهَا ... وَإِنْ صَحِبَتْنِي نِعْمَةٌ حَسَدُونِي
سَأَمْنَعُ قَلْبِي أَنْ يَحِنَّ إِلَيْهِمِ ... وَأُغْمِضُ عَنْهُم نَاظِرِي وَجُفُونِي

وقد يجزع المرء أشد الجزع عندما لا يجد شاكرًا ولا يحس لمعروفه موضعًا، بل لعل هذا الإحساس بعدم الشكر يمنع معروفه ولا يشجعه على عمل الخير مرة أخرى، وقد نجد من حالات النفوس شاهداً، ومن ذلك الشاهد قول أحد الشعراء وكان قد اتصف بالجود والكرم والإحسان إلى الناس حتى ركبته الديون و لم يجد من يشكر له معروفه فأحس بنكران الشكر عند عامة الناس وأنشد قصيدة طويلة منها هذا البيت موضع الشاهد[١٢٦]:

وَزَهَّدَنِي فِي كُلِّ خَيْرٍ صَنَعْتُهُ ... إِلَى النَّاسِ ماجَرَّبْتُ مِن قِلَّةِ الشُّكْرِ

ومن الأقوال التي قيلت فيمن لا شكر له: أربعة ليست لأعمالهم ثمرة: مُسَارُّ الأصمِّ، والباذر في السَّبِخَة، (الأرض المالحة التي لا تصلح للزراعة)، والمسْرِج في الشمس، وواضع المعروف عند من لا شكر له[١٢٧]، وللشكر أسباب توجبه وتدعو إليه وتزكيه،

(١٢٥) أبو العتاهية، ديوانه ص٤١٥.

(١٢٦) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٧، ص٢٢٢؛ ابن قتيبة: عيون الأخبار، مج٢، ج٨، ص١٨٢.

(١٢٧) ابن قتيبة: عيون الأخبار، مج٢، ج٨، ص ١٨١.

www.mtenback.com

أهمها أن يكون المنعم محتسبًا، يدفع عن طبيعة وجبلة وسماحة نفس، وليس عطاؤه للشكر أو المنفعة فمن فعل المعروف لذلك قلّ شكر الناس له، وقد قال رجل من قريش لأشعب: والله ما شكرت معروفي عندك؛ فقال: إن معروفك كان من غير محتسب، فوقع عند غير شاكر.

وبين الفريقين فريق ثالث اعترف بالنعمة، وشكر لمن قدم له المعروف، واجتهد في الثناء عليه، وكان صادقًا في ثنائه محسنًا في شعره جميلاً في منطقه، كما نرى في مثل هذه الأبيات في الشكر لمن يستحقه، حيث لايضيع فضل المحسنين[١٢٨]:

سَأَشْكُرُ عَمْرًا مَا تَرَاخَتْ مَنِيَّتِي ... أَيَادِيَ لَمْ تُمْنَنْ وَإِنْ هِيَ جَلَّتِ

فَتًى غَيْرَ مَحْجُوبِ الْغِنَى عَنْ صَدِيقِهِ ... وَلا مُظْهِرِ الشَّكْوَى إِذَا النَّعْلُ زَلَّتِ

رَأَى فَاقَتِي مِنْ حَيْثُ يَخْفَى مَكَانُهَا ... فَكَانَتْ قَذَى عَيْنَيْهِ حَتَّى تَجَلَّتِ

ومن حسن خصال العرب وصفاء نفوسهم وطيب معدنهم أنهم يلتمسون العذر لمن حالت الظروف دون إتمامه للمعروف ويشكرونه على أن همَّ بفعل الخير، وأحال على الأقدار فيما لايصل من العطاء فقال الشاعر[١٢٩]:

لأَشْكُرَنَّكَ مَعْرُوفًا هَمَمْتَ بِهِ ... إِنَّ اهْتِمَامَكَ بِالْمَعْرُوفِ مَعْرُوفُ

وَلا أَلُومُكَ إِنْ لَمْ يُمْضِهِ قَدَرٌ ... فَالشَّيْءُ بِالْقَدَرِ الْمَحْتُومِ مَصْرُوفُ

ويذهب هذا المذهب الجميل أبو نواس حين يعلن أنه عاذر وشكور في الوقت نفسه، وأن المعروف لديه مقدر لا يضيع. فيقول من أبيات في هذا المعنى[١٣٠]:

---

[١٢٨] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج١، ص ٢٣٥؛ ابن قتيبة: عيون الأخبار، مج٢، ج٣، ص ١٨٥.

[١٢٩] ابن قتيبة: عيون الخبار، مج٢، ج٨، ص ١٨٥.

[١٣٠] ابن منظور، لسان العرب المحيط، دار لسان العرب، بيروت، (د.ت)، م٢، ص٤٠٣؛ انظر أيضًا: محمود بن أحمد الزنجاني، تهذيب الصحاح ق١، دار المعارف، القاهرة، مصر، (د.ت).

www.mtenback.com

فَلَوْ كانَ للشُّكْرِ شَخْصٌ يَبِيـ ـنُ إذا ما تَأَمَّلَهُ النَّاظِرُ
لَبَيَّنْتُهُ لَكَ حَتَّى ترا هُ فَتَعْلَمَ أَنِّي امْرُؤٌ شَاكِرُ
ولَكِنَّهُ سَاكِنٌ في الضَّميـ ـرِ يُحرِّكُهُ الكَلِمَ السَّائِرُ

وسكون الشكر في الضمير وسيرورته مع الأيام هو مايطلبه الأجواد وأهل الفضل الذين يرون الشكر ثمنًا قيمًا، فيقدمون المال والجاه من أجل الشكر والحصول على المدح الذي يكون في مكانه عندما يأتي على لسان شاكر، وهذا الحال أحسن عرضه أبو نواس حين قال[١٣٦]:

أنْتَ امْرُؤٌ أَوْلَيْتَنِي نِعَمًا أَوْهَتْ قُوَى شُكْرِي فَقَدْ ضَعُفا
فَإلَيْكَ بَعْدَ اليَوْمِ تَقدِمَة وَالَتْكَ بِالتَّصْرِيح مُنْكَشِفا
لاَ تُحدِثَنَّ إلَيَّ عارِفَةً حَتَّى أَقُوم بِشُكْرِ ما سَلَفا

والشكر وفاء دين ثقيل يجب سداده وقد تلطف الشاعر في معنى بيته الأخير حين طلب من صاحب النعمة ألا يزيدها حتى يشكر ماسلف منها.

وإذا كان هذا هو حال أبي نواس، فإن الفرزدق يرى أنه لا يستطيع أن يقوم بشكر عمرو بن عتبة؛ لأنه كلما زاده شكرا زاده مننا. يقول الفرزدق[١٣٧]:

لَوْلا ابنُ عُتْبَةَ عَمْرٌو وَالرَّجَاءُ لَهُ ما كانَتِ البَصْرَةُ الحَمْقاءُ لِي وَطَنا
أَعْطانِي المَالَ حَتَّى قُلْتُ يُودِعُنِي أَوْ قُلْتُ أُودِعَ لِي مَالاً رآهُ لَنا
فَجُودُهُ مُتْعِبٌ شُكْرِي وَمِنَّتُهُ وَكُلَّما زِدْتُ شُكْرًا زادَنِي مِنَنا
يَرْمِي بِهِمَّتِهِ أَقْصَى مَسَافَتِها وَلا يُرِيدُ عَلَى مَعْرُوفِهِ ثَمَنا

[١٣٦] ابن قتيبة: عيون الأخبار، مج ٢، ج٨، ص ١٨٥.

[١٣٧] المصدر السابق: مج٢، ج٨، ص ١٨٩.

www.mtenback.com

وقد كان أبو العالية يُنْشد[١٣٨]:

إذا أنا لَمْ أشْكُر عَلَى الخَيْرِ أَهْلَهُ ... وَلَمْ أَذْمُمِ الجِبْسَ اللَّئِيمَ المذمَّمَا

فَفِيمَ عَرَفْتُ الخَيْرَ وَالشَّرَّ بِاسْمِهِ ... وَشَقَّ لِيَ اللهُ المسَامِعَ وَالفَمَا

هذا وقد كان بعض الممدوحين يشكر الشعراء على مديحهم لهم، وهذا ما حدث مع ابن الرومي الذي يقول في مدح بني بشر المرثدى[١٣٩]:

شَكَرْتَ مَديحي فِيكَ إِذْ سَبَقَ الجَدا ... وَقُلْتَ: لَقَدْ سَلَفْتَنا المَدْحَ وَالشُّكْرا

فَأَطْرَبَنِي ما قُلْتَ حَتَّى استخفَّني ... كَأَنَّ سَماعًا هَزَّ عِطْفِيَّ أَوْ خَمْرا

وَما شَكَرَ المُدَّاحَ قَوْمٌ سِوَاكُمُ ... وَلا حَكَمُوا أَنْ يَسْبِقَ النَّائِلُ الشِّعرا

بَقِيَّةُ أَبْناءِ المُلُوكِ بِحَقِّكُمْ ... يَقُولُونَ ما قُلْتُمُ مِنَ العُرْفِ لا نُكْرا

وقد كان بعض الشعراء يبذلون ماء وجوههم حتى يحصلوا على عطايا الملوك، وذلك يتمثل في قول جرير لعبد الملك بن مروان[١٤٠]:

أَغِثْنِي يا فداكَ أَبِي وَأُمِّي ... بِسَيْبٍ مِنْكَ إِنَّكَ ذُو ارْتِياحِ

فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ عَلَيَّ حَقًّا ... زِيارَتِيَ الخَلِيفَةَ وَامْتِداحِي

سَأَشْكُرُ إِنْ رَدَدْتَ عَلَيَّ رِيشِي ... وَأَنْبَتَّ القَوادِمَ فِي جَناحِي

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطَايا ... وَأَنْدَى العَالَمِينَ بُطُونَ راحِ؟

---

[١٣٨] ابن قتيبة: عيون الأخبار، مج٢، ج٨، ص ١٩١.

[١٣٩] ابن الرومي، أبو الحسن عليّ بن العباس ابن جريج: ديوانه: شرح أحمد حسن بسج، بيروت، دار الكتب العلمية، ج٢، ص٩٢.

[١٤٠] إبراهيم عوض: في الشعر الإسلامي، تحليل وتذوق، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، (١٤١٨هـ/١٩٩٨م)، ص٦٤. وانظر أيضاً: ديوان جرير، شرح: محمد بن حبيب، تحقيق: نعمان محمد أمين طه، دار المعارف بمصر، (د.ت)، ج١، ص٨٩.

www.mtenback.com

وإذا كان جرير يذهب هذا المذهب فإن هناك نفرًا من الشعراء يرى أن الشكر أفضل من المعروف، وأن الممدوح أحوج إلى الشكر من الشاعر إلى المكافأة، فالأمر في رأيه تبادل مصالح ومنافع مشتركة، فالمشكور والشاكر كل منهما محتاج إلى عمل صاحبه، يريد أن يكمل كل منهما مايحتاج إليه الآخر، وقد أحسن الشاعر عرض هذا الرأي في قوله[١٤١]:

لَئِن طِبْتَ نَفْسًا عَنْ ثَنَائِي فَإِنَّنِي ... لأَطْيَبُ نَفْسًا عَنْ نَدَاكَ عَلَى عُسْرِي

فَلَسْتُ إِلَى جَدْوَاكَ أَعْظَمَ حاجَةً ... عَلَى شدَّةِ الإِعْسارِ مِنْكَ إِلَى شُكْرِي

ومنهم الطائي الذي يقول[١٤٢]:

أَبا سَعِيدٍ وَمَا وَصْفِي بِمُتَّهَمٍ ... عَلَى الثَّناءِ وَمَا شُكْرِي بِمُخْتَرَمِ

لَئِنْ جَحَدْتُكَ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ نِعَمٍ ... إِنِّي لَفِي الشُّكْرِ أَحْظَى مِنْكَ فِي النِّعَمِ

ومما يؤيد دعوى هؤلاء الشعراء قول الجاحظ في رسالة الشكر: «ألا ترى إلى بنت هرم بن سنان لما قالت لابنة زهير بن أبي سلمى في بعض المناحات أو في بعض المزاورات: إنه ليُعْجِبُني ما أرى من حُسن شارتكم، ونقاء نفحكم. قالت ابنة زهير: أما والله لئن قلتِ ما قلت، فما ذلك إلا من فضول ما وهبتم، ومن بقايا ما أنعمتم. قالت بنت هرم: لا بل لكم الفضل، وعلينا الشكر؛ أعطيناكم ما يفنى، وأعطيتمونا ما يبقى»[١٤٣]، ولعمر بن الخطاب رأي مماثل في هذا الشأن، وملخص القصتين أن طبيعة العربي حب الشكر وطلبه وقد كان الشكر من الشاكر والبذل من المشكور خطين

---

[١٤١] ابن قتيبة: عيون الأخبار، مج٢، ج٣، ص١٨٦.

[١٤٢] المصدر السابق: مج٢، ج٣، ص١٨٧.

[١٤٣] القلقشندي، أحمد بن عليّ: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مصورة عن الطبعة الأميرية، (د.ت)، ج١٤، ص١٧٤.

www.mtenback.com

متوازيين فإذا قام المعروف في نفس الإنسان العربي وازاه في النفوس الأخرى الاعتراف به والحمد له على فضله. ولعل العرب أكثر الناس اهتمامًا بالشكر واحتفالاً به، ذلك أن فضل المرء لايقتصر عليه وحده بل يمتد إلى ذريته من بعده فيبقى الشكر موصولاً صلة الأيام وهذا الحال تختص به عادات العرب وأخلاقهم بين الأمم.

وفي مجال النثر العربي نرى ثراء فنونه المختلفة، كما نرى فيه تاريخًا حافلاً مع أنه لم يلق العناية التي لقيها الشعر من قبل النقاد والدارسين على مدى عصوره المختلفة. وإذا رحنا نفتش في تراثنا النثري عن الفنون التي عالجت موضوع الشكر وجدنا الكثير، مما لا يتسع المقام هنا لذكره، وخاصة في فن الرسائل، ولعله يمكن القول إن كتاب «الإشارات الإلهية»[١٤٤] للتوحيدي إنما هو سفر كامل في «الشكر».

وقد أكثر العرب في نثرهم - كما فعلوا في شعرهم - من ذكر الشكر وموجباته، وصلته بحياتهم، فخروا به وذكروه في مناسبات عدة. من ذلك قول عمر بن الخطاب: إن الله قد استوجب عليكم الشكر. ولكن الشكر للناس يجب أن يكون في موضعه وفي حجمه وألا يبالغ به لئلا يغتر الإنسان بثناء الناس وشكرهم له، وميزان القسط هو الأولى والأفضل في هذا الجانب والاعتدال هو المطلوب، والمرء يعرف نفسه ويقدر الشكر على قدر ماقدم، فيقبله دون غرور أو زهو ويرفض ما زاد عن حجم العطاء أو الثناء. ولأن الشكر لا يتوقف على حال فإن كل مقام له مقال ولا أحسن من أن يشكر الناس أنفعهم للناس وأكثرهم تفاعلاً في النفع العام الذي يعود فضله على الجميع فإذا شكر من هذا صنيعه جاز له قبول الشكر وسماعه ليكون تشجيعًا للآخرين ودفعًا لهم على أن يعملوا مثل عمله فينتفع العامة من الناس بفضل الخاصة. وقد شكر

---

[١٤٤] أبوحيان التوحيدي: الإشارات الإلهية، تحقيق: د. عبدالرحمن بدوي، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، (١٩٩٦).

www.mtenback.com

أحد الكتاب صاحب يد عنده فقال: «أما بعد، فقد أصبحت عظيم الشكر لما سلف إليّ منك، وجسيم الرجاء فيما بقي لي عندك، قد جعل الله مستقبل رجائي منك عونًا لي على شكرك، وجعل ما سلف إليّ منك عونًا على مؤتنف الرجاء فيك»[١٤٥].

ويرى الجاحظ بعد ذلك أن الشكر يحتاج إلى الحذق والتجويد والتأني في ذلك. كما يرى أن الشكر طبقات متفاوتة، وأن منه نوعا إنْ هو إلا كلام تجيش به الصدور وتمجه الأفواه، ولا شيء غير ذلك، وأن الشاكر يعرف من صدق اللهجة واعتدال المذهب والاقتصاد في القول، وإلا لما أحسن بعض الواعظين في الموعظة، ويضرب الجاحظ على ذلك مثالاً بأنه «قيل لجلساء الفضل الرقاشي، وعبدالصمد بن الفضل الرقاشي: ما بال دموعكم عند الفضل أغزر، وعند عبدالصمد أنزر، وكلام عبدالصمد أغزر، وكلام الفضل أنزر؟ قالوا: لأن قلب الفضل أرق، فصارت قلوبنا أرق، والقلوب تتجارى»[١٤٦].

وينتقل الجاحظ بعد ذلك إلى توضيح السبب الذي من أجله مدح وزير المتوكل، فيبين أنه لا بمدحه من جهة معروفه عنده، ولا يصفه بتقديم إحسانه إليه، وإنما يمدحه لخصاله المحمودة، ويضرب لذلك مثالا بمن استحق أن يُمدح لخصاله، وهو عمر بن الخطاب. وبعد أن ينتهي من ضرب المثل يقول: «ونحن وإن كنا لا نستجيز أن نلحق أحدًا بطباع عمر ومذهبه، وفضل قوته وتمام عزمه، فإنا لا نجد بدًا من معرفة فضل كل من استقامت طريقته، ودامت خليقته، فلم يتغير عند تتابع النعم، وتظاهر الصنع،... ولا ندع تعظيم كل من بان من نظرائه في المرتبة، وأشباهه في المنزلة، إذ كان أدومهم طريقة، وأشدهم مريرة... ولابد من أن يعطى كل رئيس قسطه، وكل زمان حظه».

---

[١٤٥] أحمد زكي صفوت: جمهرة رسائل العرب، القاهرة، الحلبي، ط٢، (١٩٧١م)، ج٢، ص ٣٦٩.

[١٤٦] القلقشندي: صبح الأعشى، ج١٤، ص ١٧٤.

www.mtenback.com

ويأخذ الجاحظ في التدرج كي يصل إلى مدح ممدوحه، فيصف زمان الدولة العباسية بأنه الأفضل بعد زمان النبي ﷺ، وأن كل من رشح للمنصب الذي شغله وزير المتوكل إنما كانت بهم عيوب خطيرة تحول بينهم وبين شغل المنصب من الصلف والعجب إلى التغير للأولياء، دون التهكم على الخلطاء إلى سوء اللقاء.

أما هذا الوزير فقد جمع بين التواضع والتحبب، وبين الإنصاف وقلة التزيد، فلا يستطيع أحد، كائنًا مَن كان، أن يزعم أنه رأى في هذا الوزير تغيرًا بعد شغل المنصب، وإنما الأمر واحد، والخلق دائم، والبشر ظاهر، والداعي كثير، والشاكي قليل. ثم يبدأ الجاحظ في الدعاء لهذا الوزير عن طريق ضرب مثال من دعاء لسهل بن هارون، ومن بيتي مدح للأعشى، ثم ينصح الوزير بشكر الله؛ لأن النعمة محفوظة بالشكر، ثم يعود إلى وصف خلال هذا الوزير الحسنة، ويختم الجاحظ كل ذلك بقوله: «قال يحيى بن خالد لابنه جعفر حين تقلد الوزارة، وتكلف النهوض بأعباء الخلافة: أي بني، إني أخاف عليك العجز، لعظيم ما تقلدت، وجسيم ما تحملت. إني لست آمن أن تتفسخ تحت ثقلها تفسخ الجمل تحت الحمل الثقيل. قال جعفر: لكني أرجو القوة، وأطمع أن أستقل بهذا الثقل وأنا مبتهل غير مبهور، وأجيء قبل السوابق وأنا ثاني. يقول: وأنا ثاني عناني، لأني لم أجهد فرسي ركضًا. قال يحيى: إن لكل رجاء سببًا، فما سبب رجائك؟ قال: شهوتي لما أنا فيه، والمشتهي للعمل لا يجد من ألم الكد ما يجده العسيف الأسيف. قال يحيى: إن نهضت بثقلها فبهذا، وإلا فلا، وأنا أسأل الله أن يصرف شهوتك إلى حب ذلك، وهواك إلى الاحتفاظ بنعمتك، بشكر المصلحين والتوكل على رب العالمين.

وحق لمن كان من غرس المتوكل على الله وابتدائه، ومن صنائعه واختياره، أن يُخَرَّج على أدبه وتعليمه، وعلى تثقيفه وتقويمه، وأن يحقق الله فيه الأمل، وينجز فيه الطمع، وأن يمد له في السلامة، ويجزل له من الغنيمة، ويطيب ذكره، ويعلي كعبه، ويسر صديقه، ويكبت عدوه[١٤٧].

[١٤٧] صبح الأعشى، ج١٤، ص ١٨٢، والرسالة تشغل من ص١٧٣ إلى ص١٨٢ من هذا الجزء.

www.mtenback.com

أما الرسالة الثالثة فهي من إنشاء أبي عبد الله محمد بن أبـــي الخصـــال الغـــافقي الأندلسي، وهي في الشكر على نزول المطر، وتبدأ الرسالة بحمد الله ثم بالشهادتين، ثـــم بالصلاة على رسول الله ﷺ وعلى الوزراء الخلفـــاء، والـــبررة الأتقيـــا، والأشـــداء الرحماء ..الخ:

وتنتقل الرسالة بعد ذلك إلى وصف حال الأرض والناس حين حل بهم الجدب، و«أحضرت أنفس الأغنياء الشح، وودوا أن لا تنشأ مزنة ولا تسح، وتوهـــم خـــازن البُرّ، أن صاعه يعدل صاع الدر، وخفت الأزواد، وماجت الأرض والتقت الـــرواد... وقلنا: هذه الشدة هذا الأزل، وللمرجفين في المدينة عجاجة ظنوها لا تلبد، وقسى نحو الغيوب تعطف وتلبد، فما يسقط السائل منهم إلا على ناب يحرق، وشهاب يـــبرق، حتى إذا عقدوا الأيمان، وأخذوا بزعمهم الأمان، وقالوا: لا يطمع في الغيث، وزحل في الليث... أنشأ الله الحَنّان، وقال له: كن فكان».

ويصف الغافقي بعد ذلك نزول المطر والهيئة التي كان ينزل عليها، ثم يخـــاطب المؤمنين بالكواكب بأن ينظروا إلى المطر الهاطل، وأن يسبحوا باسم ربهم العظيم الذي قذف بالحق على الباطل، ثم يأخذ الغافقي في وصف التحول الذي حدث للأرض وما عليها، فإذا الدنيا ضاحكة مستبشرة، وأرواح الأدواج خاملة، وأعطـــاف الأغصـــان مائلة، وأوراق الأوراق تفصل، وأجنحة الظلال تراش وتوصل، وخطباء الطير تـــروي وتخبر، وشيوخ الحارب تهلل وتكبر. ويقف الغافقي عند كل مظهر من مظاهر الطبيعة، واصفا ما حل به بعد نزول المطر، وينتهي من ذلك كله إلى أن يقول: «فشكرًا لربنـــا شكرًا، وسحقًا للذين بدلوا نعمة الله كفرًا، اللهم بـــارئ النســـم، ودارئ القســـم، وناشر الرحمة والنعم، ومنزل الديم، وباعث الرحم، ومحيي الأمم؛ فإنا نؤمن بقـــدرك: خيره وشره، ونطوي غيثك على غره، ولا نتعرض لنشره حتى تأذن بنشره، ونعتقـــد ربوبيتك كل الاعتقاد، ونبرأ إليك من أهل المروق والإلحاد، ونستزيدك مـــن مصـــالح العباد ومنافع البلاد، رزقنا لديك، ونواصينا بيديك، وتوكلنا عليك، وتوجهنا إليـــك،

www.mtenback.com

ولا نشرك بك في غيبك أحدًا، ولا يجد عبد من دونك ملتحدًا، تباركت وتعاليت، وأمت الحي وأحييت الميت، لا هادي لمن أضللت ولا مضل لمن هديت، فاكفنا فيمن كفيت وتولنا فيمن توليت، إنك تقضي ولا يقضى عليك، وتقرأ: ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة»[١٤٨].

ولا يعني ما تَوَقفنا عنده من رسائل في الشكر أنها هي الموجودة فقط في التراث العربي، فإن نظرة في عيون الأخبار - مثلاً - ستطلعنا على أن هناك رسائل أخرى في الشكر، وخاصة شكر الملوك والأمراء، ولا يتسع المقام هنا للوقوف عندها، فكل ما عنانا في هذا البحث إنما هو إثبات أن الشكر قيمة ضاربة بجذور راسخة في التراث العربي والإسلامي، وعلينا أن نحافظ عليها وننميها.

الأسرة هي النواة للمجتمع كله، فيجب أن يُعَوَّد كل أفراد الأسرة على الشكر، فعلى الزوجة أن تشكر زوجها على إنفاقه على أسرته ورعايته لمصالحها، وعلى الزوج أن يشكر زوجته على قيامها على شؤون المنزل، وعلى الأولاد أن يشكروا أبويهم على تربيتهم لهم والقيام بكل شؤونهم، كما أن عليهم أن يشكروا معلميهم على ما يقدمونه لهم من علم، كما يجب أن يُعَوَّد كل فرد على أن يشكر كل من قدم له معروفًا، سواء كان جارًا أو صديقًا أو غريبًا، وهكذا يصبح الشكر قيمة مألوفة في المجتمع، يحافظ عليها ويحترم الشاكرين ويقدر أهل الفضل فلاينسى فضلهم ولايتنكر لمعروفهم، فينمو الأمل في الذكر الحسن لدى القادرين وتنمو أخلاق الشكر في نفوس الشاكرين. على ألا يمس الإحسان والشكر مقومات الشخصية الحرة حيث يبقى للعربي شعوره بالكرامة وإن شكر وشعوره بذاته التي لاتَمَّحي أمام المحسنين، فالشكر شيء والهوان والذلة والمهانة شيء آخر، والروح العربية لاتقبل الهوان ولايتصف العربي بصفة تقلل من شعوره بنفسه وشخصه وكرامته.

---

[١٤٨] الرسالة في صبح الأعشى، ج١٤، ص٢٦٣ - ٢٦٦.

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

الفهارس

موقع الدكتور مصطفى بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الآيات القرآنية

السورة	الآيــــة	رقمها	الصفحة
البقرة	﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ... الآية﴾	١٥٥	٢٨
	﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيم... الآية﴾	١٥٨	١٣
	﴿يَا أَيُّهَا آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ... الآية﴾	٢٦٤	٤٠
آل عمران	﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ... الآية﴾	١٢٣	١٦
	﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ... الآية﴾	١٤٥	٣٣
النساء	﴿وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا... الآية﴾	١٤٧	١٤
الأعراف	﴿فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ... الآية﴾	١٦-١٧	٦
يوسف	﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ... الآية﴾	٥٥	٢٠
إبراهيم	﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ... الآية﴾	٧	٣٢
النحل	﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ... الآية﴾	٥٣	١٦
	﴿إن إبراهيم كان أمة قانتا... الآية﴾	١٢٠-١٢١	١٣
الإسراء	﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا... الآية﴾	٣	١٣
	﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاه... الآية﴾	٢٣-٢٤	٤٥
	﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ... الآية﴾	٥٣	٥
الأنبياء	﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً... الآية﴾	٣٥	٢٧
الحج	﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ... الآية﴾	١١	٢٨
المؤمنون	﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُون... الآية﴾	٥-٧	١٨
الفرقان	﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً... الآية﴾	٦٢	١٧
الشعراء	﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ... الآية﴾	٨٤	٣٩
النمل	﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ... الآية﴾	١٥	٢٥
القصص	﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ... الآية﴾	٧١-٧٣	٢٤

www.mtenback.com

السورة	الآيـــة	رقمها	الصفحة
لقمان	﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِه... الآية﴾	١٢	١٤، ٢٤
	﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ... الآية﴾	١٤	٤٤
سبأ	﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ... الآية﴾	١٣	١٧
	﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ... الآية﴾	١٥-١٧	٣٥
يس	﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا... الآية﴾	٣٣	٢٤
فصلت	﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ... الآية﴾	٣٤	٦
الاحقاف	﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا... الآية﴾	١٥-١٦	٤٧
الضحى	﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ.... الآية﴾	١١	٢٠

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الأحاديث

الحديث	الصفحة
«اثبت أحُد، فإنما عليك...»	١٩
«اقطعوا عني لسانه...»	٥٢
«أفلا أكون عبداً شكوراً»	١٧
«أما ترضى أن تكون مني بمنزلة...»	١٩
«أنا سيد ولد آدم ولافخر»	٢٧
«الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل...»	٢٧
«أنت على الإسلام حتى تموت»	١٩
«أنت مني وأنا منك»	١٩
«أنتم من أحب الناس إليّ»	١٩
«أنشدني قصيدة من شعر الجاهلية...»	٧
«إذا أردتم أن تعلموا ما للعبد...»	٣٩
«إذا رأيتم المادحين فاحثوا في وجوههم التراب...»	١٩
«إن فيك خصلتين يحبهما الله...»	١٩
«إن لله تعالى في أثناء كل محنة منحة»	٣١
«إن الله خلق الخلق فجعلني...»	٢٠
«إياكم والامتنان بالمعروف...»	٤٠
«بل أجوع يوماً وأشبع يوماً...»	١٧
«التحدث بنعمة الله شكر...»	٣٣
«التحدث بالنعم شكر، وتركها كفر...»	١٦
«تدمع العين، ويحزن القلب...»	٢٩
«تلك عاجل بشرى المؤمن...»	٣٩

www.mtenback.com

الحديث	الصفحة
«الحمد رأس الشكر...»	١٣
«خمس يعاجل صاحبهن بالعقوبة»	٤٣
«سمعت دق نعليك في الجنة...»	١٩
«الصلاة لوقتها...»	٤٥
«صنائع المعروف تقي مصارع السوء...»	٤٠
«عجباً لأمر المؤمن...»	٢٦
«كل معروف صدقة...»	٤٠
«لا تنفع الصنيعة إلا عند ذي حسب ودين»	٤٢
«لو كنت متخذاً من أمتي خليلاً...»	١٩
«ليس من أخلاق المؤمن الملق...»	٤٨
«ما أنعم الله على عبد نعمة...»	٣٤
«مالقيك الشيطان سالكاً فجاً...»	١٩
«من ترك معونة أخيه...»	٤٠
«من يرد الله به خيراً يصب منه...»	٢٧
«وأرجو أن تكون منهم»	١٩
«يأتي عليكم أويس بن عامر...»	٤٥
«ينادى يوم القيامة...»	٣٣

www.mtenback.com

فهرس الأشعار

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
	ـــ ى ـــ			
ارفع	نمى	–	٢	٣٦
	ـــ ء ـــ			
شكر	الولاءِ	–	٢	٤٨
	ـــ ت ـــ			
سأشكر	جلّتِ	–	٣	٥٧
	ـــ ح ـــ			
وما شرف	قدحُ	–	٣	٢١
أغثني	ارتياحِ	جرير	٤	٦١
	ـــ د ـــ			
ألم تعلموا	أزودُ	المساور بن هند	١	٥٣
واني	الغد	–	١	٩
	ـــ ر ـــ			
شكرتَ	الشكرا	ابن الرومي	٤	٦١
وليست	شكرا	أبو العتاهية	٢	٤٢
فلو كان	الناظرُ	–	٣	٦٠
إني لها	أنفرُ	–	٢	٤٧
يدُ	شكورُ	الرياشي	٢	٥٨
زاد	صغيرُ	–	٢	٤٠

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
لا تتركن	تصغّرُها	عروة بن أذينة	٤	٤١
ويفرح	ذخرُ	حاتم الطائي	٢	٣٠
إذا كان	الشكرُ	محمود الوراق	٢	٢٣
إذا أنا	شكرُ	معاوية بن أبي سفيان	٦	٥٥
سعيت	لشاكرُ	طريح الثقفي	١	٥٩
فإن تولني	شكورُ	أبو نواس	١	٥٨
شكرت	عامرِ	النابغة الذبياني	١	٥٨
ومن	عامرِ	–	٤	٥٠
علقمُ	الواترِ	الأعشى	١	٧
أبا موسى	القطرِ	محمد بن يزيد	١٢	٥١
حسب	شكري	–	٢	٥٤
وزهدني	الشكر	–	١	٥٦
لئن	عُسري	–	٢	٦٢
— س —				
من يفعل	الناسِ	الحطيئة	١	٤٣
— ض —				
أمسلمَ	الأرض	أبو نخيلة الراجز	٣	١٢
— ع —				
ومحجّب	شسوعا	حاتم الطائي	٢	٥٤
ذممت	اصطناعَها	عبدالرحمن بن حسان	٣	٥٤
لقد	الأصابعُ	–	١	٣٧

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
لعمرك	الودائعِ	–	٤	٤٢
		ـ ف ـ		
أنت	ضعُفَا	أبو نواس	٣	٦٠
لأشكرنك	معروفُ	–	٢	٥٧
		ـ ل ـ		
وحيّ	النعلْ	–	٣	٥
من جاوز	مغتالَها	علي بن أبي طالب	٤	٤٤
فمتى	القائلِ	المتنبي	١	٢٣
		ـ م ـ		
إذا أنا	المذمّما	أبو العالية	٢	٦١
الناس	خدمُ	–	١	٥٨
أبا سعيد	بمخرمِ	حاتم الطائي	٢	٦٢
أعدّ	رحمِ	أبو حيان التوحيدي	٢	٥٨
		ـ ن ـ		
لولا ابن	وطنا	الفرزدق	٤	٦٠
لا تكره	متباينْهْ	–	٢	٣١
أهلكتني	حسنه	–	٢	٥٣
أحسن	إحسانُ	–	١	٤٠
أَبَني	لَيّن	–	١	٦
فلو كان	مكانِ	–	٢	٤٩

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
عثمان	بمجّان	–	٢	٥٣
يا رب	ظلموني	أبو العتاهية	٥	٥٦
— ي —				
ولست	البواكيا	منظور بن سحيم الفقعسي	٣	٥١

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

المصادر والمراجع

د. إبراهيم عوض:

في الشعر الإسلامي والأموي؛ تحليل وتذوق، القاهرة/مكتبة زهرة الشرق، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

د. أحمد إبراهيم مهنا:

مقومات الإنسانية في القرآن الكريم، القاهرة - سلسلة البحوث الإسلامية، ربيع الثاني، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.

أحمد زكي صفوت:

- جمهرة خطب العرب، القاهرة،الحلبي، ١٩٣٣م.

- جمهرة رسائل العرب، القاهرة، الحلبي، ط٢، ١٩٧١.

الأعشى، ميمون بن قيس:

ديوان الأعشى، بيروت- دار صادر، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م

ابن الأنباري، أبوبكر محمد بن القاسم:

شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تحقيق: عبدالسلام هارون، القاهرة، دار المعارف، ط٥، بدون تاريخ.

البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل:

صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، بيروت، دمشق، دار القلم، ١٩٨٠م.

البيهقي، إبراهيم بن محمد:

المحاسن والمساوئ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، مكتبة نهضة مصر، بدون تاريخ.

www.mtenback.com

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر:

- البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، بيروت،دار الجيل، د.ت.

-المحاسن والأضداد، بيروت، مكتبة العرفان، بدون تاريخ.

جرير بن عطية بن الخطفى:

ديوان جرير، شرح: محمد بن حبيب، تحقيق: نعمان محمد أمين طـــه، دار المعارف، مصر، د.ت.

ابن الجوزي، جمال الدين:

سيرة عمر بن عبد العزيز، تصحيح محب الدين الخطيب، القاهرة، مطبعة المؤيد، ١٣٣١هـ.

الحطيئة، جرول بن أوس:

ديـــوان الحطيئـــة، شـــرح: أبـــي ســـعيد الســـكري، دار صـــادر، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

أبو حيان التوحيدي:

- الإشارات الإلهية، تحقيق د. عبد الرحمن بدوي، القاهرة، الهيئة العامـــة لقصور الثقافة، ١٩٩٦م.

- المقابسات، تحقيق: حسن السندوبي، القاهرة، دار سعاد الصباح، ط٢، ١٩٩٢م.

ابن أبي الدنيا، أبو عبدالله بن محمد:

كتاب الشكر، تحقيق: طارق الطنطاوي، القاهرة، مكتبة القرآن، بـــدون تاريخ.

www.mtenback.com

الرازي، فخر الدين، محمد بن عمر:

التفسير الكبير، القاهرة، المطبعة البهية، بدون تاريخ.

ابن رشيق القيرواني، الحسن بن رشيق:

- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الجيل، ط٥، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

رمضان عبد التواب:

فصول في فقه العربية، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط٣، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

وانظر: الطبعة الأولى ١٩٧٣م، دار الحمامي، القاهرة.

ابن الرومي، أبو الحسن علي بن العباس بن جريج:

ديوان ابن الرومي، شرح أحمد حسن بسج، بيروت، دار الكتب العلمية، بدون تاريخ.

أبو زيد القرشي، محمد بن أبي الخطاب:

جمهرة أشعار العرب، شرح علي فاعور، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

الطرطوشي، محمد بن الوليد:

سراج الملوك، القاهرة، المطبعة المحمودية التجارية، ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م.

العاملي، بهاء الدين، محمد بن حسين:

الكشكول، تحقيق: الطاهر أحمد الزاوي، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ١٩٩٨م.

ابن عبد ربه، أحمد بن محمد:

العقد الفريد، تحقيق: د.مفيد محمد قميحة ود. عبد المجيد الترحيني، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

www.mtenback.com

عبد القاهر الجرجاني، أبو بكر:

دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، القاهرة/مكتبة الخانجي، ط٣، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

أبو العتاهية، إسماعيل بن القاسم:

ديوان أبي العتاهية، دار بيروت، للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠.

أبو العلاء المعري، أحمد بن عبد الله بن سليمان:

- شرح ديوان المتنبي، تحقيق: د. عبد المجيد دياب، القاهرة/دار المعارف، ط٢، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

- لزوم ما لا يلزم، شرح: نديم عدي، دار طلاس للدراسات والترجمة، دمشق، ط٢، ١٩٨٨م.

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد:

إحياء علوم الدين، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم:

- الشعر والشعراء، تحقيق: د. مفيد قميحة، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ/١٩٣٩م.

- عيون الأخبار، تحقيق: د. علي يوسف طويل، بيروت، دار الكتب العلمية، بدون تاريخ.

القرطبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد:

الجامع لأحكام القرآن، دار الغد، ط٢، ١٩٩٦م.

www.mtenback.com

القلقشندي، أحمد بن علي:

صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، بدون تاريخ.

ابن قيم الجوزية أبو عبد الله، محمد بن أبي بكر:

- تهذيب مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، مراجعة محمد بيومي، المنصورة، القاهرة، مكتبة الإيمان، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، القاهرة «المنصورة»، مكتبة الإيمان، بدون تاريخ.

- الوابل الصيب من الكلم الطيب، تحقيق: عبدالعزيز عزالدين السيروان، بيروت، دار العربي، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

كاملة الأنوار حجاب:

الشكر في القرآن، القاهرة،دار الآفاق العربية، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد:

أدب الدنيا والدين، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، المنصورة، القاهرة، مكتبة الإيمان، بدون تاريخ.

المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد:

الكامل في اللغة والأدب، شرح تغاريد بيضون ونعيم زرزور، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

محمد الأحمدي أبو النور، وآخرون:

من هدي القرآن، القاهرة، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

www.mtenback.com

محمد عزيس:

معجم التعبيرات القرآنية، القاهرة، الدار الثقافية للنشر، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

محمد الغزالي:

خلق المسلم، الإسكندرية، دار الدعوة للطباعة والنشر والتوزيع، ط٣، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

محمد فؤاد عبد الباقي:

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، القاهرة، دار الحديث، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

محمد يونس عبد العال:

- دراسة في أدب أحمد بن يوسف الكاتب والشاعر، المنيا، القاهرة، دار حراء، ١٩٨٦م.

- في النثر العربي؛ قضايا وفنون ونصوص، القاهرة، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ١٩٩٦م.

المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن:

شرح ديوان الحماسة، نشره: أحمد أمين وعبد السلام هارون، بيروت، دار الجيل، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد:

تهذيب الأخلاق، القاهرة، مطبعة مدرسة والدة عباس باشا، ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م.

www.mtenback.com

مسلم، الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري:

صحيح مسلم بشرح النووي، دار الريان للتراث، القاهرة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

مقاتل بن سليمان البلخي:

الأشباه والنظائر في القرآن الكريم، تحقيق: د. عبد الله شحاتة، القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي:

لسان العرب، تحقيق: عبد الله الكبير وآخرين، القاهرة/دار المعارف، ط٣، بدون تاريخ.

النابغة الذبياني، أبو أمامة زياد بن معاوية:

ديوان النابغة الذبياني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة/دار المعارف، ط٢، بدون تاريخ.

نبيل سيد عبد الفتاح:

التشكيل اللغوي في سيفيات المتنبي، القاهرة، جامعة عين شمس، كلية الآداب، ١٩٩٦.

النووي، محيي الدين يحيى بن شرف:

أداب العالم والمتعلم «مقدمة المجموع»، مراجعة إبراهيم بن محمد، طنطا، القاهرة، دار الصحابة للتراث، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com